الأعلاق الخطيرة

في ذكر أمراء الشام والجزيرة

تأليف

ابن شداد

عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم

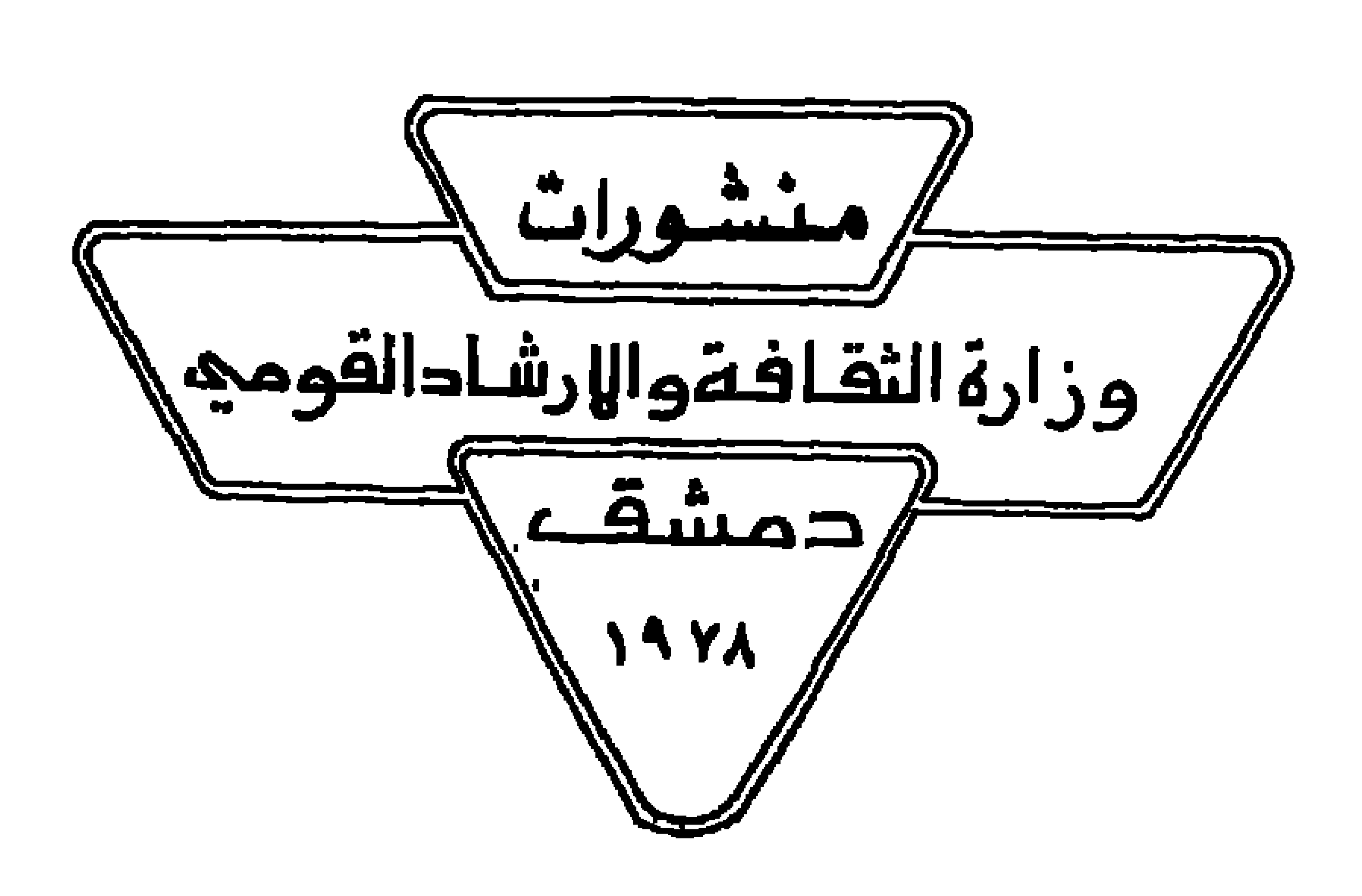
المتوفى سنة ٦٨٤هـ = ١٢٨٥م

الجزء الثالث

القسم الأول

حققه

يحيى عبّارة



الإهداء

إلى زوجتي العزيزة عفاف داغستاني

تقـــديراً لصبرها وتضحيتها

فلولا رحـــابة صدرها

ماقدرت على إنجاز

أي عمـــل

يحيى عبارة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : يسعدني أن أقدم للعاملين في حقل الدراسات التاريخية والجغرافية والقراء الكرام الجزء الثالث والأخير من كتاب « الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة » لمؤلفه عز الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم بن شدّاد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م وموضوعه تاريخ الجزيرة . فلقد كان من شأن نشر هذا الكتاب أن استغرق زمناً مديداً ، وكان من بعد الشقة في نشر أجزاء هذا الكتاب عند التعرف على آخر أجزائه نسيان أوله . ولذا بات من اللازم التذكير بتاريخ نشر هذا الكتاب ،

يقع كتاب « الأعلاق الخطيرة » في ثلاثة أجزاء يختص أولها بتاريخ حلب ، وقد اعتنى بنشر القسم الأول من هذا الجزء المستشرق الفرنسي دومينيك سورديل في سنة ١٩٥٣ دون أن يتمه .

ويختص ثاني أجزائه بتاريخ دمشق والأجناد الثلاثة الأخرى من بلاد الشام ،فنشر هذا الجزء بعناية المرحوم الدكتور سامي الدهان،فأصدر القسم الأول الخاص بتاريخ مدينة دمشق ١٩٥٦ ، ثم أصدر القسم الثاني الخاص بتاريخ لبنان والأردن وفلسطين سنة ١٩٦٣ .

وقد أشرف المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية على طباعتها في المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

ثم تعاقبت الأيام والسنون دون أن يتم طبع ماتبقى من هذا الكتاب، وحتى بات الناس في شك من استكمال تتمته . إلى أن أتاحت لي الظروف في صيف سنة ١٩٧٣ اللقاء بالأستاذ الدكتور شاكر مصطفى فلفت نظري إلى ضرورة استكمال كتاب مؤرخ الشام العز ابن شداد «الأعلاق»، وتحقيق الجزء الثالث والأخير من الكتاب، فأخذت بوجهة نظره وذلل أمامي الصعوبات فأمدني بمصورة الجزء الثالث، وزودني بتوجيهاته الصائبة وتوصياته السديدة فباشرت العمل ، وكانت شغلي الشاغل خلال إعارتي للسعودية في العام الدراسي ١٩٧٣ – ١٩٧٤ واستمر عملي فيها بعد عودتي إلى سورية مدة ثلاث سنوات بذلت خلالها كل مالدي من الجهد حتى أنجزت مابدأت ، ولما استوفى الغاية من العناية تقدمت بطلب إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي كي تتولى أمر نشره فأجابت بالموافقة والقبول فشكرتها على صنيعها .

واليوم تنشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي هذا الجزء لأول مرة، وقد ارتأت الوزارة لأسباب فنية أن يصدر هذا الجزء في قسمين، يضم القسم الأول منهما كل مايتعلق بديار مضر وديار ربيعة وبعضاً مما يتعلق بديار بكر، وسينتهي هذا القسم بذكر وفاة الأمير ناصر الدولة منصور آخر أمراء بني مروان الأكراد في ميافارقين وآمد .

ويمتد القسم الثاني من هذا الجزء من ولاية شمس الملوك دُقاق ميافارقين استقلالاً بعد وفاة أبيه تاج الدولة تُتُش السلجوقي وحتى توجه الملك المظفر إلى التتار عند هولاكو .

واليوم يصادف نشر « تاريخ الجزيرة » من كتاب « الأعلاق » مرحلة صح فيها التصميم والعزم لدى الجمهورية العربية السورية للاعداد لمشروع جديد لوضع الأسس الأولية لإعادة كتابة تاريخ العرب في موسوعة كاملة واحدة تؤكد الوحدة العريقة للأمة العربية وغزارة ماقدمت للحضارة الانسانية ، تكون وسيلة بين أيدي الأجيال العربية الجديدة لفهم الحاضر للواقع العربي من جوانبه المضيئة وجوانبه المظلمة ، وفي إمكاناته المتعددة ، ولتزويد هذه الأجيال بالثقة في نفسها وبأمتها وبالقدرة على استيعاب منطق التقدم نفسه ، بالوعي التاريخي الذي يحرر الماضي من أثقاله ويمنحه وزنه الحقيقي ، والذي يعمل على تكوين بعد أساسي من أبعاد الشخصية العربية .

وجاء في خطاب الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والإرشاد القومي في كلمتها التي ألقتها في اجتماع اللجنة الأول في العشرين من شهر كانون الأول سنة ١٩٧٧ : « إن إعادة كتابة تاريخنا العربي هو حاجة قومية ومطلب حضاري لتأكيد وحدة أمتنا ، وضخامة عطاءاتها وغزارة نتاجاتها ، ولمعرفة المعاني والمغزى لشعبنا العربي الذي كانت له في ماضيه مآثر عظيمة لابد من الاطلاع عليها ومعرفة أسبابها ومحصلاتها حتى يستطيع وهو يضع مستقبله أن يستلهم أفضل مافي تراثه »

ثم أشارت إلى أن الأمم المتقدمة قد وجدت حاجة ماسة إلى إعادة كتابة تاريخها في ضوء جديد ونظرة جديدة ومنهج علمي يوفر لها معطى صحيحاً ، نزيهاً ، متخلصاً من كثير مما عاق به ، ومستوعباً للكثير مما فات الأقدمين ليكون من هذا الجهد عمل متكامل يبرز أصالتها ووحدتها ومقومات وجودها ومآثرها .

وكانت جامعة الكويت قد نهدت إلى تبني مشروع إصدار موسوعة تاريخية تضم التاريخ القومي لأمة العرب منذ أقدم عصورها وحتى عصرنا الحاضر . يساهم في تحريرها أصحاب الكفاءة والاختصاص من أساتذة الجامعات في الأقطار العربية . ومن تطلعات هذه الموسوعة أن يلقى فيها المواطن العربي مجالا للاعتزاز بأمجاد أمته ومفاخرها . وأن هذا الماضي الوضيء بعراقته أهل للاعتداد به،وأن يشد المواطن العربي إليه شداً لأن يرى وراءه تاريخ أمةٍ ذاتِ أصالةٍ وعراقةٍ لايدانيها في معطياته الفنية تاريخ أي أمة أخرى .

إن هذا المشروع الضخم هو عمل طيب ، ولكي يؤتي ثماره يجب أن يسبق بمشروعاتٍ :

أولها : تجميع معالم التراث العربي إن لم يكن بأصوله الأصلية فعلى الأقل بأن نعمد إلى تجميع مصورات هـذا التراث المنضد في دور الكتب والمتحفات شرقاً وغرباً وإعادته من مهاجره إلى دياره الأولى التي ولد فيها ونشأ على أرضها وترعرع فيها .

وثاني المشروعات : عملية نشر هذا الترات نشراً علمياً دقيقاً وأميناً .

وثالث المشروعات : عملية تقويم هذا التراث والوقوف على مضمونه ومعطياته للاستفادة منها في إعادة كتـابة تاريخنا القومي .

ولذلك لانحظى بكـتابة تاريـخ صادق أمين ونحن عازفون عن إحياء تراثنا ، ودون أن نكشف عما هو مدون في هذا التراث مما حفلت به الخزانة العربية ، من معطيات وأصول غاية في الأهمية والغنى .

إن دول أوربا لم تعد كتابة تاريخها إلا بعد أن استوفت النظر في كامـــل تراثها ووفتـــه حقه من الدرس والتمحيص وفرقت بين ما هو غـــث منه وما هو سمين فاستخلصـــت زبدته ورمت بالقشور والتفاهات .

ولنا في هؤلاء أسوة حسنة وعلينا أن ننهج نهجهم بان نعمل على تحقيق هذا التراث ونشره ، وبذلك نكون أوفياء لأمتنا وأوفياء لعلمائنا الأبرار ومؤرخينا الأتقياء الذين أنفقوا زهرة أعمارهم وضحوا بنور أبصارهم وكدّوا قرائح أذهانهم لينقلوا إلينا كل ماكان من شأن تاريخ أمتنا العريقة إخلاصاً منهم وتبرئة لذممهم وإحقاقاً لحق العلم عليهم .

وحسبي أني كنت وفياً لهـــذا التراث فأديت ضريبة العلم بمساهمتي في إخراج « تاريخ الجزيرة » من « الأعلاق » كما أسهمت سابقاً بتحقيق كتاب « در الحبب في تاريخ أعيان حلب » بمشاركة الأستاذ محمود فاخوري . وأرجو أن أوفق للقيام بعمل جديد .

وأرجو أن ينال هذا العمل القبول عند المعنيين بدراسة التاريخ العربي والإسلامي ، وإنني لأتحمل وحدي المسؤولية كاملة عما فاتني إدراكه لتقصير مني عن بلوغـــه أو لزلل انسقت إليـــه عن غـــير قصد ، وإني لأرحب بتلقي ملاحظات القراء الكرام للاستفادة منها في التصحيح أو استدراك مايجب استدراكه في مستقبل الأيام في طبعة جديدة ، ولا أدعي العصمة فالعصمة لله وحده ، وفوق كل ذي علم عليم .

وإنني لأتقدم بالشكر الخالص والتقدير الكبير لكل من أولاني فضل علمه وساعدني في إخراج هذا الكتاب .

وأول من يستحق هذا الشكر والتقدير عندي هو كل من الأستاذ

الدكتور شاكر مصطفى والمستشرق الألماني الأستاذ الدكتور فريتس شتيبات للتشجيع الذي لقيته منهما وكلماتهما الطيبة المخلصة، ولما أتاحا لي بنفوذهما الأدبي فرصة ماكان يتسنى لي الوصول إليها لولا سعيهما المشكور بإمدادي بالأصول المصورة عن المخطوطات المعروفة لهذا الجزء من الكتاب ، تشجيعاً منهما للبحث العلمي ومساهمة منهما في المساعدة على نشر التراث .

وكذلك أثني على الدكتور عدنان درويش مدير إحياء التراث العربي في وزارة الثقافة والإرشادالقومي في الجمهورية العربية السورية الذي كان لمؤازرته لي وإفادته لي بعلمه الغزير وملاحظاته الغنية أكبر الأثر في نشر هذا الكتاب

وأثني أيضاً على الأستاذ محمد المصري معاون مدير إحياء التراث لإشرافه على تصحيح تجارب الطبع واستدراك أشياء ندت عني بكل دقة وإخلاص .

ولن أنسى فضل الأخ الكريم الأستاذ عبد الإله نبهان لتبرعه في مراجعة هذا الكتاب عليّ ولأياديه الكريمة بإعارتي ماكنت أحتاج إليه من المصادر والمراجع من مكتبته، وفضل الأخ الكريم الأستاذ سبيع حاكمي الذي كان أخاً وفياً في ملاحظاته القيمة التي أفادنيها في عملي.

والله أسأل في الختام أن يوفقنا في خدمة أمتنا العربية المجيدة .

حمص في ١٥/ ١/ ١٩٧٨ يحيى زكريا عبارة

ابن شداد مؤلف الأعلاق

مؤلف «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» هو عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم(١) بن شداد بن خليفة بن شداد بن إبراهيم بن شداد الأنصاري الحلبي . ولد في السادس من ذي الحجة سنة ٦١٣ هـ/ آذار ١٢١٧ م في حلب وفيها نشأ وترعرع وأمضى شبابه الأول ، ثم انتقل إلى مصر فعمل فيها في خدمة الظاهر بيبرس إلى أن مات في ١٧ صفر سنة ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥ م . (٢) ودفن فيها بسفح المقطم (٣)

---

(١) هكذا ساق ابن شداد نسبه في مطلع كتابه « الاعلاق الخطيرة : ١ / ١ : ١ » وقوله هو الفصل في هذا الشأن ، وهو أدرى بنسبه وتسلسله من غيره ، وأخطأ اليافعي في كتابه « مرآة الجنان : ٤ / ٢٠١ » بتقديم اسم جده على اسم أبيه ، وأخطأ معه كل من جاراه بقوله ، مثل ابن العماد الحنبلي في كتابه « شذرات الذهب : ٥ / ٣٨٨ » .

وخير شاهد يستشهد به في أن جده كان إبراهيم هو ذلك الخبر الذي ساقه ابن شداد في صدد إنشاء مشهد الحسين . ففي إيراده هذا الخبر أتى على ذكر جده ودعاه باسمه الشيخ إبراهيم . وما كان من شأن الشيخ إبراهيم هذا وإصراره الشديد على رفع الحائط القبلي لمشهد الحسين وعدم قبوله بأن يكون منخفضاً وفي ذلك قال : « فلما رأى جدي الشيخ إبراهيم بن شداد بن خليفة بن شداد لم يرضه وزاد في بنائه من ماله . » فهذا يؤيد ويؤكد أن جد ابن شداد الأول هو إبراهيم والنص في مطلع « الأعلاق» ينبىء بأن اسم أبيه كان علياً ، ومن يخالف ما أوردناه فهو مخطئ ، ولاريب في ذلك . انظر : « الأعلاق الخطيرة: ١ : ١ : ٥ » .

(٢) « الأعلاق الخطيرة ٢ / ١ – مقدمة الناشر (١٣ م – ١٤ م) » .

(٣) « تاريخ ابن الفرات : ٨ / ٣٣ – ٣٤ » .

شهرَ مؤرخنا العز بابن شداد ، وشارك بشهرته هذه مؤرخاً حلبياً آخر كان أكثر منه نفوذاً وأبعد صيتاً وتقدماً ، وهو القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن عتبة الأسدي الموصلي المشهور بابن شداد . وجاءت هذه الشهرة للقاضي بهاء الدين عن طريق جده لأمه شداد. والمعروف أن القاضي بهاء الدين عاش في كنف أخواله بني شداد في حلب لوفاة والده عنه بالموصل ، وهو طفل صغير فنسب إليهم .

وكانت ولادة القاضي بهاء الدين في الموصل سنة (٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م) ووفاته بحلب سنة (٦٣٢ هـ/ ١٣٢٩ م) دون أن يكون له وريث يرثه ، وكان قاضياً ومؤرخاً وفقيهاً(١)

وجاءت وفاة العز متأخرةً عن وفاة بهاء الدين بما يربو عن خمسين عاماً .

ومما أدى إلى هذا الالتباس بين الاثنين تماثلهما بنسبتهما إلى شداد وتماثلهما معاً في الخدمة السلطانية . فالقاضي بهاء الدين كان يعمل في كنف السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. وكان العز يعمل في كنف السلطان الظاهر بيبرس . وهما يتماثلان أيضاً في كتابة السيرة ، فقد كتب القاضي بهاء الدين في سيرة صلاح الدين الأيوبي كتاباً سماه : « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » وكتب العز في سيرة الملك الظاهر بيبرس كتاباً سماه « الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر » . وأخيراً فهما يتماثلان بالنسبة إلى حلب ، فالقاضي بهاء الدين بعد وفاة والده ، وولادته بالموصل ، انتقلت به أمه إلى حلب للعيش مع أهلها وخاصتها من بني شداد في حلب. وأما العز فقد ولد في حلب، ونشأ في

(١) « وفيات الأعيان : ٧ / ٨٤ — الترجمة ٨٤٢ » .

ربوعها ، وتعلق بحبها ، وعاش فيها شبابه الأول . ولم يغادرها إلا مكرهاً عندما غزت القوات المغولية العالم الإسلامي فأسقطت خلافة بغداد وتقدمت في طريقها غرباً نحو الجزيرة والشام ، وانتشر الذعر وحل البلاء فَخَلَّفَ ابن شداد حلب وراء ظهره هلعاً ، يخفق عليها قلبه أسىً وندامةً ، وتضطرب نفسه حسرةً وحزناً .

ولقد أوقع الباحثين المتأخرين في الخلط مابين الاثنين صاحب «كشف الظنون»(١) وذلك على غير قصدٍ منه ، عندما عزا تأليف كتاب « الأعلاق » إلى ابن شداد يوسف بن رافع الحلبي المتوفَّى سنة ٦٣٢ هـ . دون تحرٍّ وتمحيص دقيق منه في الموضوع ، فتخبط بسبب ذلك كثير من الباحثين برجوعهم إلى كتابه « كشف الظنون » .

إننا لنعذر حاجي خليفة فيما أخطأ فيه ، لأنه ليس في مقدور أي إنسان أن يتتبع محتويات كتب الخزانة العربية وفهرستها وتصنيفها والكتابة عنها دون أن يتسرب الخطأ إلى عمله الواسع الشاق .

ولئن أخطأ حاجي خليفة أولاً في ذكره كتاب الأعلاق ونسبته إلى

(١) أخطأ حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون : ١ / ١٢٥ » بنسبة كتاب « الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة » إلى بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد الحلبي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . وأخطأ بالنقل عنه من المتأخرين جورجي زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية : ٣ / ٦٣ » إلا أن نسبة هذا الكتاب صححت بطبعته الصادرة عن منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت سنة ١٩٦٧ م ونسب فيها لمؤلفه عز الدين ابن شداد على الوجه الصحيح « تاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ١٩٣ » والغزي في « نهر الذهب في تاريخ حلب : ١ / ١١» والدكتور أحمد أحمد بدوي في «الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام : ٢٦٥ » حيث قال : « كما وضع ابن شداد الحلبي المتوفى سنة ٦٣٢هـ كتابه الأعلاق الخطيرة في تاريخ الشام والجزيرة » .

بهاء الدين ابن شداد ، إلا أنه لم يخطىء به ثانيةً بوقوفه على نسخة أخرى من الكتاب فذكره باسم : « الدرة الخطيرة في أسماء الشام والجزيرة » فنسبه لمؤلفه العز محمد بن علي الحلبي الكاتب المتوفَّى سنة ٦٨٤ هـ . وجاءت فيه النسبة على الوجـــه الصحيح ، أما مايتعلق بالخطأ في عنوان الكتاب وتسميته « بالدرة الخطيرة » فتبعـــة الخطأ في ذلك أول ماتنصب على الناسخ لعدم دقته وأمانته بالنقل .

لانعرف شيئاً عن حياة ابن شداد الأولى ، وكل مانعرف عنه أنه ولد في حلب وعاش فيها ،فقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه « الأعلاق » ، حيث قال : « وأبدأ بذكر جند حلب ، لكونها مسقط رأسي ، ومحل أنسي وناسي ، وثديي الذي ارتضعت دَرَّه ، ونحري الذي تقلد نحري دُرَّه ، وموضعَ نزهتي ووطني وبقعتي ، والمكان الذي حمدت به الأيام ، والمنزل الذي كنت به مـــن الحوادث في ذمام ، والدار التي صبحت بها الشباب غضاً جديداً ، وقطعت فيها بالدعة والسرور عيشاً حميدا ، وعاشرت من لم يزل للمحفل صدراً وللجحفل قلباً ، وعند النائبات ركناً شديداً .

أحب رُبىً فيها ربيت مكرماً ويعجبني كثبانها وهضابها
بلادٌ بها عق الشباب تمائمي وأول أرض مس جسمي ترابها(١)

أما من ترجم له من المؤرخين فقد جاءت تراجمهم موجزةً بالرغم من شهرة الرجل وجلالة قدره وعلو شأنه وعلمه وأدبه وسعة ثقافته ومروءته وفضله .

---

(١) « الأعلاق الخطيرة : ١ / ١ : ٣ » .

قال ابن كثير : « كان فاضلاً مشهوراً . . . وكان معتنياً بالتاريخ »(١) .

وترجمه اليافعي بالرئيس المنشىء البليغ . . . (٢) ونعته الصلاح الصفدي بـ« الصدر المنشىء عز الدين أبي عبد الله الأنصاري الحلبي الكاتب . وكان أديباً فاضلاً . . . وله توصل ومداخلة وفيه مروءة ومسارعة لقضاء الحوائج »(٣)

وترجمه ابن الفرات فقال : «الصاحب، كان الوزير المشير عز الدين فاضلاً ديّناً مؤرخاً رئيساً ، معظماً عند الأمراء الأكابر ، محبوباً إليهم، وكان الأمراء الأكابر يحملون إليه في كل سنة دراهم وكسوة وغلة وغير ذلك . وكان لازم الصاحب بهاء الدين مدة حياته . . . »(٤)

وكرر ابن العماد الحنبلي أقوال اليافعي الآنفة وزاد عليها .

وترجمه من المتأخرين المستشرق الروسي كراتشكوفسكي فقال : « . . . . أصله من حلب، وقد شغل منذ شبابه الأول مناصب إدارية لدى الأيوبيين . وكان يعد خبيراً في شؤون الميزانية والمالية ، الأمر الذي ينعكس بشدة في كتابه . وقد عاش عز الدين في أزمنة خطيرة . . . وأخذ طرفاً في النشاط الدبلوماسي لعصره ، فشارك في النضال العسكري ضد الزحف المغولي . وفي عام ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م عندما استولت جحافل المغول على حلب هاجر إلى القاهرة ، وهناك تمتع برعاية الظاهر بيبرس

(١) « البداية والنهاية : ١٣ / ٣٠٥» .
(٢) « مرآة الجنان : ٤ / ٢٠١ » .
(٣) « الوافي بالوفيات : ٤ / ١٨٩ — ١٩٠ » .
(٤) « تاريخ ابن الفرات : ٨ / ٣٣ » .

والسلطان قلاوون.وفي عام ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ م تمكن من زيارة دمشق ولكنه لم يلبث أن عاد إلى القاهرة وتوفي بها »(١)

وقد قدم المرحوم سامي الدهان الذي عني بتحقيق الجزء الثاني من « الأعلاق الخطيرة » بقسميه : تاريـخ مدينة دمشق وتاريخ لبنـان والأردن وفلسطين ترجمة(٢) وافية ، اعتماداً على ماقاله القدامى ، والنبذ التي تحدث بها العز عن نفسه في كتابه الأعلاق ، فالتقطها ورسم صورة حية عنه .

ولابن شداد ترجمة موجزة في « دائرة المعارف الأسلامية »(٣) . وترجمه الزركلي في « الأعلام »(٤) . وعمر رضا كحالة في « معجم المؤلفين »(٥) .

ولقد ظلم مؤرخنا نفسه لأنه لم يترجم لنفسه أسوة بسابقيه من المؤرخين كياقوت صاحب معجم الأدباء ومعاصره ابن العديم وغيرهما فقصَّر في حق نفسه وبقيت جوانب كبيرة من حياته مطموسة لم يُكشَفْ عنها ، لاسيما فيمن أخذ عنهم من الشيوخ وتتلمذ عليهم والعلم الذي أخذه عن كل منهم

ولولا الظلال القليلة التي نثرها في تضاعيف كتابه « الأعلاق » التي كان يتحدث فيها عن نفسه والتي كشفت لنا زوايا ذات أهمية من حياته،

---

(١) « تاريخ الأدب الجغرافي : ١ / ٣٦٩ – ٣٧١ » .

(٢) « الأعلاق الخطيرة : ٢ / ١ : (م ١٣) – (م ٥٥) »

(٣) « دائرة المعارف الاسلامية : ١ / ٣٢٦ » .

(٤) « الأعلام : ٧ / ١٧٣ » .

(٥) « معجم المؤلفين : ١٠ / ٢٩٩ » .

لما وجدنا في التراجم التي كتبها عنه مترجموه مايروي غليلاً ولاينير سبيلاً . فقد حفظ لنا « الأعلاق » نشاطه الفعال في سفاراته المتعددة وما اتفق له في زياراته ورحلاته والمناصب الكبيرة التي شغلها ، فقد روى لنا ابن شداد مارأى ، وحكى ماسمع ، وتحدث عما صنع فعرّفنا عن هذا السبيل بخطوط من حياته أضاءت السبيل أمام الباحثين وكشفت عن شيء من حياته وأعماله ومواقفه .

تحدث العز في كتابه « الأعلاق — الجزء الثالث — تاريخ الجزيرة » عن اتصاله بالملوك والسلاطين ، وترقيه صعداً في مراتب الدولة الأيوبية في حلب ، وهو في ميعة الشباب قبل أن يجوز السابعة والعشرين من عمره ، إذ بعثه سلطانها إلى حران ، فذكر ذلك وقال : « ولما ملكها السلطان صلاح الدين يوسف صاحب حلب في سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ — ١٢٤١م بعثني إليها في سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢ — ١٢٤٣ م لأكشفها ، فكان ارتفاعها (واردات قصبتها) في ذلك التاريخ.. . . » .

ومعنى هذا أنه كان قد عين مديراً لمالية حران — حسب تعبير المصطلح الإداري في أيامنا — وكان واقفاً على الشؤون الاقتصادية والسياسية في عهده .

وذكر ابن شداد في حوادث سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩ م وقد بلغ أربعاً وأربعين سنة من العمر : « خرجت من دمشق رسولاً إلى التتر النازلين على ميافارقين في مستهل المحرم ، صحبة الملك المفضل صلاح الدين يوسف ابن الملك المفضل موسى بن صلاح الدين ، وأخرج معنا الملك الناصر أولاده الثلاثة وحريمه ليكونوا بحلب ، وهم الملك العادل ، والملك الأشرف ، وولد آخر صغير ، وأمر بأن نأخذ معنا من حلب هدية إلى

يشموط ، وهي ألف وخمسمائة دينارٍ عيناً ، وحياصةٌ مجوهرةٌ ، وسيف مجوهر . . . فلما أصبحنا حضر إلينا جماعة ، وأخذوا ماكان معنا من الهدية وحملوها بين أيدينا ، وأمرونا بالمسير معهم ، فلما حضرنا عنده أدينا الرسالة ، وكـان مضمونها التهنئة بالقدوم ، والشكوى من تعرضهم لبلاد الجزيرة ، وقتل من بها من الرعية ، وكشفت عما آل إليه أمره بعد انقياده إليهم منذ عشرين سنة طوعاً واختياراً ، وبما يبعثه من الهدايا والأموال التي لم تُجْدِ عليه شيئاً »

وفي هذه السفارة أغلظ ابن شداد القول للأعداء ، فوقف للغازين وقفة أذهلت القوم الذين سمعوه ، فنصحوه بالهدوء .

وكان ابن شداد موضع ثقة السلطان ومحل اعتباره وتقديره فأوفده في أمرٍ خطيرٍ ، وحمله مالاً كثيراً ، وجعله مع حريمه وأولاده ، ورأى فيه السياسي الحكيم الذي يستطيع أن يتقدم بالتهنئة والشكوى معاً ، وكاد ينجح في مهمته لولا حراجة الموقف وتأزم الحال .

ولبث ابن شداد مقيماً في حلب في خدمة السلطان الأيوبي إلى سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩ م . وفي ذلك يقول: « وفارقت بلدي في سنة سبع وخمسين وستمائة »(١) . ثم انتجع الديار المصرية في ظل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فقال : « لما حللت بمصر المحروسة ، وتبوأت محالها المأنوسة ، وشملني من انعام مولانا السلطان السيد الأجل المجاهد المرابط ، رافع كلمة الإيمان وقامع عبدة الصلبان ، ملك العصابة

---

(١) « الأعلاق الخطيرة – الجزء الأول – تاريخ حلب – : ١ / ١ / ١٣٨ » .

الإسلامية . . . الملك الظاهر ، الطاهر المقاصد ، الباهر المفاخر ركن الدين أبي الفتح بيبرس ، قسيم أمير المؤمنين لازالت ألويته في الخافقين خافقة ، وسوابق جياده إلى ديار أعدائه لعزماته سابقة . . . ورتعتُ في أنعامه بين روضة وغدير ، ورفلتُ من ملابس إحسانه فيما دونه الحرير ، وصاحبت زماني طلق المحيا بعد عبوسه . . . . وكان السبب في نجعتي عن بلادٍ بها عق تمائمي الشباب ، وفيها اتخذتُ الإخوان والأصحاب ، وقضيت الأوطار مع اللدات والأتراب ، مالا يُنسى ذكره على مرور الأيام ، ولا يبرح مكرراً بأفواه المحابر ، وألسن الأقلام ، من دخول التتر المخذولين البلاد ، وتفرقتهم بجموعهم لشمل من سكنها من العباد » (١)

لقد أكرم السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس السياسيّ اللاجيء فرفع من شأنه ، وحفظ له مقامه ، وأنعم عليه فقابل ابن شداد ذلك بالشكر ، واعترافاً بهذا الجميل انتهز ابن شداد الفرصة ليعبر عن هذا الإكرام الجسيم فوضع له كتابه « الأعلاق » ليذكر فيه ماسنّى الله له من الفتوحات التي لم تكن تتوهمها الأطماع ، وملكه ماكان بأيدي الكفر من منيعات الحصون والقلاع ، وما وطئته سنابك خيوله ، واسترجعته مواضي لهاذمه ونصوله ، من البلاد التي يئست الأطماع من ردها ، والزمت العيون مداومة سهدها ، وجرعت النفوس الصبر بعد شهدها ، مفصلاً كل جند من أجناد الشآم والجزيرة بأعماله وحدوده ، ومكانه من المعمور وأطواله وعروضه ، ومطالع سعوده ، ملتزماً في كل بلد ذكر من وليه من أول الفتوح ، وإلى الوقت الذي فرغ فيه هذا الكتاب » (٢) .

(١) « الأعلاق الخطيرة – الجزء الأول – تاريخ حلب – : ١ / ١ / ٤ ٢ ».
(٢) « الاعلاق الخطيرة – الجزء الأول – تاريخ حلب – : ١ / ١ / ٢ ٠ ٣ ».

وعندما انتهى ابن شداد من كتابة مؤلفه « الأعلاق » قال : « وعندما تمَّ كتابي وكمل ، وارتدى بالفوائد واشتمل ، سميته بالاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، راجياً أن يكون مرهفاً لعزمات مَنْ وُضِعَ له ، وإن كانت مستغنيةً عن الإرهاف ، وسميراً يغنيه في أوقات خلواته عن الأصحاب والآلاّف ، وهذا حين ابتدائي بالمقال » (١) .

ومكث ابن شداد في كنف الظاهر بمصر قرابة عشر سنوات ، فلما عاد الملك الظاهر بيبرس إلى الشام عاد في صحبته فقال : « ولما رحلتُ في سنة تسع وستين وستمائة إلى دمشق ، صحبة مولانا السلطان الملك الظاهر — خلد الله ملكه — » (٢) فعاش ابن شداد في الشام ، في دمشق ، كما عاش في مصر مستظلاً بظل الظاهر بيبرس ، رافلاً في نعمه ، مرتشفاً من إكرامه ، يغدق عليه السلطان من خيراته ، ويفيض ابن شداد عليه بالمزيد من الثناء والشكر بالكتابة عنه ، والكشف عن حسناته لنشرها بين الناس تخليداً لتلك الحسنات وتمجيداً لصاحبها .

ثم توفي الملك الظاهر ركن الدين بيبرس في ثاني المحرم سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧ م وتولى بعده ولده السلطان الملك السعيد على جميع الممالك بعهدٍ من والده (٣) فلجأ ابن شداد إلى الملك السعيد هذا ، وهو ناصرُ الدين محمد بركة خان ، ولقي منه ما كان يلقى قبلُ من أبيه من رعايةٍ وحفاوةٍ وإكرامٍ حتى أصبح وكيلاً له .

---

(١) « الأعلاق الخطيرة : ١ / ١ : ٤ » .

(٢) « الأعلاق الخطيرة — تاريخ دمشق — : ٢ / ١ : ١٨٧ ، ٢٧٤ » .

(٣) « الأعلاق الخطيرة — تاريخ لبنان والأردن وفلسطين — ٢ / ٢ : ٦٤ » .

وبعد موت الملك السعيد (١) ، لازم ابن شداد العادل (٢) ، ثم المنصور(٣) بعده وذكرهم في كتابه، ومدح إنعامهم وإكرامهم كذلك، فقد كانوا عزاءً له عن اضطراب حياته بين البلدان ، وتنقله في الأوطان، وهجرته من مسقط رأسه حلب ، وعيشه غريباً بين الشام ومصر ، لايعرف بيتاً مستقراً ، ولاطرازاً من العيش مستمراً، وإنما يرضى بقرب السلاطين حين يطلبونه، ويسعون إلى إرضائه وإكرامه، فقد كانوا يجدون عنده الذكاء والعلم والحكمة والتجربة ، إلى الوفاء والاعتراف بالجميل ، فعرفوا أنه في الأعلام النوابغ ، وأنه حري بالتقديم والتقدير والإكبار ، فأعطوه ماذهب مع الريح ، وأعطاهم مايبقى أبد الدهر ، كانوا له الوسيلة إلى عيشٍ مكرم جليل ، وكان الوسيلة إلى خلودهم ورفعتهم مدى التاريخ .

---

(١) «توفي الملك السعيد يوم الجمعة ١١ ذي القعدة سنة ٦٧٨هـ بالكرك ونقل بعد ذلك إلى دمشق ، ودفن إلى جنب والده بالمدرسة الظاهرية قبالة المدرسة العادلية » النجوم الزاهرة : ٧ / ٢٧١ » .

(٢) « بعد خلع الملك السعيد وسفره إلى الكرك ، عرض الأمراء السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون ، فامتنع واقترح أن يكون الملك العادل بدر الدين شلايش ، وكان لهذا من العمر سبع سنين وأشهر» . «السلوك : ١ / ٦٥٦» و « النجوم الزاهرة : ٧ / ٢٧١ » .

(٣) جاء في « الأعلاق الخطيرة : ٢ / ٢ : ٥٤ » : « خرج الملك عن الملك السعيد إلى أخيه العادل سيف الدين شلايش ، وتسلم الملك الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي العلائي أتابكاً ... . إلى أن جلس السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون المذكور على تخت الملك ، يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر رجب في سنة ثمان وسبعين الخ ... » . وجاء في « السلوك : ١ / ٦٥٦ » : « وجعلوا أتابكه وبدر مملكته الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي النجمي» وتسلطن قلاوون في العاشر من رجب سنة ٦٧٨ هـ .

وهكذا عاش الرجل موفور الكرامة ، مكفي المؤونة منذ شبابه حتّى آخر أيامه ، في رعاية الملوك والسلاطين ، خلال نصف قرن كان من أقسى مامرّ على الأمة الإسلامية ، فقد شهد هجمات التتر وبربريتهم ، وعرف تخريب المدن ، وقتل الآمنين من أطفال ونساء من أقصى فارس إلى حدود الشام البعيدة ، لم يغادروا بناءً شامخاً أو سلطاناً عامراً ؛ وإنّما لطخوا الجدران والمساجد بأيديهم الملوثة الوحشية ، وكدروا المياه وصبغوا الترب بدماء الأبرياء من المسلمين ، وعرف كذلك هجمات الغربيين باسم الصليبية ، فاحتلوا الممالك وزعزعوا السلطان ، وبلبلوا حال الشعوب ، وبعثوا الخوف والفزع ، ولم يذكر التاريخ الإنساني ضيقاً كهذا الضيق قد لف الممالك العربية من شرق وغرب ، وأعمل معوله في تهديمها لعلها تقضي إلى غير رجعة ، ويشاء الله أن تبقى خالدةً تقف للأعاصير ، وتصمد للمطامع على مرّ الزمان .

أجل على مقربة من هذه الأحداث والكوارث التي ألمت بالعالم الإسلامي عاش العز ابن شداد شاهد عيان ، يعرف دقائقها وتفصيل أمورها ، حتّى جاوز السبعين من عمره ، فأصابه الهرم والإعياء ، ودبّ إليه الفناء ، فقضى يوم الأربعاء ١٧ صفر سنة ٦٧٤ هـ بمصر ، ودفن في سفح جبل المقطم بالقاهرة ، غريباً ، بعيداً عن أهله ووطنه ، ولكنه ترك في مسمع التاريخ دوياً لاينسى ، وأثراً لايمحى هو كتابه « الأعلاق » ، (١)

★ ★ ★

ثقافة ابن شداد وأعماله السلطانية وآثاره

تثقف ابن شداد بثقافة عصره التي سادت القرن السابع الهجري ، وهي ثقافة عمادها القرآن الكريم وعلومه ، والحديث وعلومه ، واللغة

(١) « الأعلاق الخطيرة : ٢ / ١ — مقدمة الناشر م ٢٣ — م ٢٤ » .

العربية وعلومها وآدابها ، وقد توسع ابن شداد في دراساته التاريخية وإطلاعه على مؤلفات أكابر المؤرخين كالطبري وابن الأثير وابن العديم وابن عساكر والنسوي وكتب المذكرات ككتاب الاعتبار وسواه ، ثم اطلاعه الواسع على دواوين الشعراء ، فاتخذ من هذه الثروة الثقافية الواسعة العامة رصيداً كبيراً استمد منه المادة الرئيسية لكتابة كتابه الأعلاق وغيره من مؤلفاته ، فحفظ لنا ابن شداد بذلك أروع ماجادت به قرائح الشعراء ، وأحسن ماسجلته أقلام الكتاب ، وبمحفوظاته هذه سدد ابن شداد قلمه وأرهف بها يراعه وحلى فيها بيانه . وبذلك شهد له بعلو المقام بين المؤرخين وبصفاء الأسلوب ونصوعه بين كتاب التاريخ .

تعلق ابن شداد بالكتابة التاريخية وزاده تعلقاً بها موقعه من الأمراء والملوك والسلاطين ، واتصاله ببلاط هؤلاء المتملكين ، ووقوفه على خفايا الأمور السياسية ، وما يدبر فيها ويطبخ ، وما يخطط وينفذ ، وهو على صلة وثيقة بمعرفة الأحوال الاجتماعية والواقع الاقتصادي والحربي ، لذلك كان يرصد ويسجل كل ماكان يدور حوله وما كان يحيط بالوطن الإسلامي من أحداث و ما كان يقع فيه من كوارث .

وكان من ملامح عصر ابن شداد أن يضطلع بالتأريخ والكتابة فيه من وسد إليه تدبير الأمور السياسية ورعاية مصالح الدولة ،وكان على صلة وثيقة بمن كانوا من أصحاب الحل والربط من الملوك والأمراء .

لقد كتب ابن شداد في التاريخ وجارى في أسلوبه أسلوب أصحاب الترسل في القرنين الخامس والسادس ، فاعتنى بالصناعة اللفظية والزخرفة القولية ، وأكثر من استخدام البديع ، والموازنة والترصيع والسجع

والازدواج . واستخدم في كتابته الجمل القصيرة ذات الفواصل . وكلف بهذا الأسلوب وعمل على نشر أسلوب الترسل والاستشهاد برسائل المترسلين كرسالة القاضي الفاضل في وصف قلعة آمد وسواها . وبذلك ، فكتابة ابن شداد تشبه إلى حد بعيد كتابة الصاحب ابن العديم ، والقاضي ابن شداد ، صاحب السيرة الصلاحية ، والحافظ ابن عساكر ، لاتكاد تختلف عنهم إلا كما تختلف النفوس والأخيلة والعبقريات . ولعل إعجابه بهؤلاء دفعه إلى تقليدهم في التصنيف فألف فيما ألفوا به ، ونقل عنهم خير مافي كتبهم ، وسار سيرتهم في حياته وثقافته .

أما إذا أردنا أن نتعرف على شيوخ ابن شداد وأساتذته الذين حمل عنهم العلم فإننا لانصل إلى نتيجة مرضية ، وذلك لأن المصادر التي بين أيدينا لم تكشف لنا عما كان من شأنه وشأنهم ، ولم تتحدث عن حقيقة نشاطاتهم العلمية ، وآثارهم الفكرية ، ومجالات النقاش والجدل التي كانت تدور في مجالسهم ، وفي حلقات دروسهم أو في أروقة مدارسهم في حلب ودمشق . والشيء الوحيد الذي يمكن أن نثبته في هذا المجال هو تاثر ابن شداد بالصاحب الوزير بهاء الدين ابن حنا ، فقد تأثر ابن شداد تأثراً كبيراً بمصاحبته له ، فاستفاد منه لملازمته إياه ، وتدرب به على أمور الوزارة في عهد الملك الظاهر بيبرس :

« وبهاء الدين هذا أحد رجال الدهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاءً وخبرةً وتصرفاً . . . ولم يكن على يده يد » (١) .

وقد صحبه ابن شداد في حلقاته ، وسار في ركابه إلى زيارة دمشق

---

(١) « فوات الوفيات : ١ / ١٥٢ » .

وآثارها ، ومعرفة خفاياها وأسرارها ، متظللاً بمكانه من السلطان والحكم . وقد اعترف ابن شداد بذلك في كتابه « الأعلاق » وذكر له فضله في الزيارة .

وقد تمثلت ثقافة ابن شداد بمؤلفاته القيمة ، وقد عرفنا منها :

١ — جَنَى الجنين في أخبار الدولتين » (١) وقد ألمع ابن شداد إلى كتابه هذا في « الأعلاق الخطيرة — قسم الجزيرة (ص ٤٥٩) — »

ولعل هذا الكتاب في الدولة الخُوَارَزْمِيّة والأيوبية ، ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا ذكر مخطوطة منه ، وقد ألفه ابن شداد قبل « الأعلاق » .

٢ — « الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر . » ذكر ابن شداد كتابه هذا في « الأعلاق — قسم الجزيرة (ص : ١٢٣ » — . وأوجز ابن شداد القول فيه فقال : « تاريخنا المرتب على السنين في سيرة السلطان الملك الظاهر — خلد الله ملكه —

٣ — « القرعة الشدّادية الحميرية » أو « تحفة الزمن في طُرف أهل اليمن » ذكره بروكلمان في تاريخه للأدب العربي وقال : « إن مخطوطته بالهند »

٤ — « كروم التهاني لتيسير السبع المثاني » ذكر هذا الكتاب إسماعيل باشا البابانّي البغدادي في كتابه « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : ٢ / ٣٥٢ » وذيل على اسم الكتاب بقوله :

---

(١) « كشف الظنون : ٢ / ١٠٦ » ذكرها تحت اسم « سيرة الظاهرة بيبرس » .

« تأليف محمد بن علي بن حسن (١) بن شداد ص (صاحب) » الدرة الخطيرة » أولها : « الحمد لله الذي أنزل الفرقان وجعل الفاتحة في الصلاة سبباً لفلاح الإنسان إلخ . . . » وذكره ثانية في كتابه الآخر « هدية العارفين : ٢ / ١٣٤ » في عداد مؤلفات العز ابن شداد .

وهذا الكتاب لم يشر إليه المرحوم الدكتور سامي الدهان .

٥ ــ « الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (٢) » جعله في الشام كلها . ابتدأ بتأليفه حوالي سنة (٦٧١هـ / ١٢٧٢ م) وانتهى منه في حدود سنة (٦٨٠ هـ / ١٢٨١م) ولعله آخر تآليفه، وقد ثابر على الكتابة فيه إلى ماقبل وفاته بأربع سنين، وآخر إشارة أشار إليها

---

(١) لايوجد في سلسلة نسب العز ابن شداد من اسمه حسن .

(٢) ذكر الدكتور جمال الدين الشيال في مقدمة كتاب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في سيرة صلاح الدين : ٧ م ، ٨ م (في مقدمته) أن العز ابن شداد كتاباً في « تاريخ حلب » ويعزى بالخطأ إلى بهاء الدين يوسف بن رافع الحلبي ابن شداد » والصواب أنه من تأليف العز ابن شداد ، ويقول : « وأول من أخطأ في هذه النسبة بروكلمان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية ، فقد ذكره ضمن مؤلفات بهاء الدين وأضاف أنه توجد منه نسخة خطية في مكتبة بطر سبرج تحت رقم : (A, M, 203) .

. « Brockelmann, G. derlet. Arab. Er.Suppl. I. 549 »

ووقع في الخطأ نفسه الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتاب « الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي : ٣٠٩ ؛ » و « الدكتور السيد الباز العريني في كتابه « مؤرخو الحروب الصليبية : ٢٠٢ » » .

وقد وهم الدكتور جمال الدين الشيال في تسمية كتاب « تاريخ حلب » باعتبار هذا الكتاب كتاباً مستقلا للعز ابن شداد . والأمر ليس كذلك فتاريخ حلب هذا ماهو إلا الجزء الأول من كتاب الأعلاق الخطيرة .

المؤلف في الجزء الثالث «تاريخ الجزيرة» كانت سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠ م).
وجارى ابن شداد في تسمية كتابه هذا ابن رسته صاحب كتاب
« الأعلاق النفيسة » فنحا نحوه .

فهذه المؤلفات مجتمعة تدلنا على سعة اطلاع العز ابن شداد ومبلغ
ثقافته ، وترشدنا إلى جماعة المؤرخين والكتاب والعلماء والشعراء
الذين نقل عنهم وزاد عليهم ، فأضاف مشاهداته وتجاربه الثمينة
القيمة إلى تجاربهم السابقة ، فأتم مابدؤوه ، وزاد مارآه رأي العيان ،
لأنه كان على وقوف تام على هذه الأمور السلطانية ؛ فقد شارك في
الحكم ، واتصل بسياسة السلطان ، فعلم مالم يعلمه غيره من المؤرخين ،
لذلك نجد عنده ثروة تاريخية ورصيداً حسناً لأمور لانجدها عند سواه
لمكانته ومقامه وتعقله وحكمته .

* * *

مصادر العز ابن شداد في الجزء الثالث من « الأعلاق الخطيرة » الخاص بتاريخ الجزيرة

يمكن عزو مصادر العز في « تاريخ الجزيرة » من « الأعلاق »
إلى أصلين :

أولهما : مصادر ذات صلة بتاريخ الأدب الجغرافي قوامها المؤلفات
التاريخية والجغرافية وكتب المسالك والممالك والرحلات .

وثانيهما : مصادر أدبية ولغوية تضم بعض المعجمات اللغوية والكتب
الأدبية والدواوين الشعرية وكتب المذكرات .

فمصادر الفئة الأولى يمكن تفريعها إلى فرعين :

آ — إسلامي محض قوامه مؤلفات الإسلاميين وهو الأكثر.

ب — غير إسلامي وقوامه مؤلفات من لا يمت إلى الإسلام بصلة ما.

وهذا سرد بالمصادر الإسلامية رتبنا فيه هذه المصادر وفقاً للشهرة التي عرف بها أصحابها وشهروا فيها وفق الترتيب المعجمي.

(١) ابن الأثير الجزري (١) : استفاد ابن شداد من كتاب « الكامل في التاريخ » فائدة كبيرة ، فقد نقل عنه العز موضوعات كاملةً من كتابه بعناوينها ، وأخباراً بتمامها ، وقد ألمع ابن شداد إلى نقوله هذه أحياناً وسكت عنها أخرى .

(٢) الإدريسي الجغرافي (٢) أخذ عنه ابن شداد نقولاً محدودة من كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ونسبها له .

(٣) ابن الأزرق الفارقي (٣) : اعتمد عليه ابن شداد اعتماداً

---

(١) هو علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، أبو الحسن ، عز الدين بن الأثير : (٥٥٥ — ٦٣٠ ﻫ / ١١٦٠ — ١٢٣٣ م) المؤرخ الإمام . ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر وسكن الموصل ، وتجول في البلدان وعاد إلى الموصل وتوفي فيها . من تصانيفه « الكامل » وهو تاريخ مرتب على السنين (ط) وأكثر من جاء بعده من المؤرخين عيال على كتابه هذا . « الأعلام : ٥ / ١٥٣ » .

(٢) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الأدريسي الحسني الطالبي ، أبو عبد الله : (٤٩٣ — ٥٦٠ ﻫ / ١١٠٠ — ١١٦٥ م) مؤرخ من أكابر العلماء بالجغرافية . ولد في سبتة ونشأ وتعلم بقرطبة ورحل رحلة طويلة إنتهى بها إلى صقلية فنزل على صاحبها روجار الثاني Roger II ووضع له كتاباً سماه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » طبعت بعض أقسام منه . والآن يجري طبع أجزائه بإيطاليا بتحقيق الدكتور حسين مؤنس .

(٣) هو أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي القاضي عماد الدين ، صاحب تاريخ ميافارقين وآمد . ولد بمدينة ميافارقين في شهر شوال سنة (٥١٠ ﻫ / ١١١٦ م) ونشأ في بيت معروف وعائلة كريمة ، سافر إلى بغداد وهناك تحمل علومه . شغف بعلم

كلياً واستفاد منه فائدة جليلة في كل مايتعلق بتاريخ ميافارقين »
وقد أشار ابن شداد إلى هذا المصدر في معظم النقول التي أخذها عنه ، وقلما أغفل ذكره . وأكثر ماأخذه عنه يتعلق بتاريخ دولة بني مروان الكردية في ميافارقين وآمد ، وفي جوانب أخرى من كتابه هذا .

(٤) ابن إسحاق (١) : أورد ذكره ضمن نقول محدودة وردت في مصنفات الآخرين من المؤرخين واستشهد بها ابن شداد .

(٥) البلاذري (٢) : أخذ عنه ابن شداد نقولاً محدودة وهي التي تؤرخ فتح الجزيرة مما أورده البلاذري في كتابه « فتوح البلدان » .

(٦) ابن جرير الطبري (٣) : نقل عنه ابن شداد بعض النقول

=التاريخ وحبب إليه الكتابة فيه فاجتهد في طلبه وقرأ الكثير مما ألف فيه . كثرت رحلاته وتنقلاته فزار آمد والموصل وماردين وبغداد ودمشق ، وتنقل في بلاد الروم وأقام في مدينة تفليس وعمل في خدمة ملك جورجيا ديمتري بن داود فزادت ثقافته وكتب ماشهده أو ما سمعه ،ولكفاءته تولى ابن الأزرق المناصب الهامة في بلده فشغل منصب الإشراف على الأوقاف بظاهر ميافارقين وغيرها . توفي حوالي سنة (٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م) .

ملخصة عن مقدمة كتاب « تاريخ الفارقي » و « الاعلان بالتوبيخ : ٢٨٤ — الحاشية(٨)» وتليخص مجمع الآداب : ٤ / ٢ : ٦٧٩ » .

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني المتوفى سنة (١٥١ هـ / ٧٦٨ م) من مؤرخي العرب من أهل المدينة ، زار الاسكندرية ، وسكن بغداد فمات فيها . « الأعلام : ٦ / ٢٥٢» .

(٢) هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المتوفى سنة (٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م) مؤرخ جغرافي نسابة ، له شعر ،من أهل بغداد ، أصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون؛ فشد بالبيمارستان الى أن توفي . . من كتبه فتوح البلدان . « الأعلام : ١ / ٢٥٢ » .

(٣) هو محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (٢٢٤ — ٣١٠ هـ / ٨٣٩ — ٩٢٣م) المؤرخ المفسر . ولد في آمل واستوطن بغداد وتوفي بها . له « تاريخ الرسل والملوك» وغير ذلك . « الأعلام : ٦ / ٢٩٤ » .

على نحو محدود جداً مما جاء في كتابه « تاريخ الرسل والملوك »

(٧) ابن حوقل (١) : استفاد ابن شداد استفادة ضئيلة من كتابيه « صورة الأرض » و « المسالك والممالك » .

(٨) ابن خُرْدَاذْبَه (٢) : ألمّ ابن شداد إلى مؤلف ابن خرداذبه « المسالك والممالك » وأخذ عنه بعض النقول في عدة مواضع .

(٩) ابن أبي الدم (٣) : استفاد ابن شداد من تاريخ ابن أبي الدم المعروف « بالتاريخ المظفري » الذي صنعه مؤلفه باسم المظفر أمير ميافارقين ونقل عنه بعض النقول .

(١٠) صاحب كتاب «ابتداء عمران البلدان». أومأ إليه ابن شداد في كتابه الأعلاق في بعض النقول التي أخذها عنه . إلا أننا لم نهتد إلى الكتاب ولا إلى اسم مؤلفه .

---

(١) هو محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ، أبو القاسم المتوفى بعد سنة (٣٦٧ ﻫ / ٩٧٧ م) رحالة ، من علماء البلدان ، كان تاجراً . رحل من بغداد سنة (٣٣١ ﻫ / ٩٤٢ م) ودخل المغرب وصقلية ، وجاب الأندلس وغيرها . له كتاب « المسالك والممالك – ط – » . « الأعلام : ٦ / ٣٤٤ » .

(٢) هو عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه ، أبو القاسم ، عاش (نحو ٢٠٥ ﻫ – نحو ٢٨٠ ﻫ / نحو ٨٢٠ – نحو ٨٩٣ م) . مؤرخ جغرافي فارسي الأصل من أهل بغداد . اتصل بالمعتمد العباسي فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل وجعله من ندمائه ، له تصانيف منها « المسالك والممالك » « الأعلام : ٤ / ٣٤٣ » .

(٣) هو إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم الحموي ، شهاب الدين ، أبو إسحاق ، المعروف بابن أبي الدم (٥٨٣ – ٦٤٢ ﻫ / ١١٨٧ – ١٢٤٤ م) مؤرخ ، بحاثة ، مولده ووفاته بحماة (في سورية) من مؤلفاته : « التاريخ المظفري – خ – » في ست مجلدات. « الأعلام : ١ / ٤٢ » .

(١١) ابن العديم (١) : أشار ابن شداد في كتابه إلى الصاحب كمال الدين عمر ابن العديم، وصرح بالأخذ عنه في بعض النقول من تاريخه: « بغية الطلب في تاريخ حلب»، وقد أشار المرحوم الدهان في مقدمة التحقيق التي وضعها لكتاب ابن العديم «زبدة الحلب من تاريخ حلب – مقدمة الناشر – آثاره ومؤلفاته – م ٥٠ – م ٥١ » إلى ذلك فقال : ونقل عنه ابن شداد المتوفى سنة (٦٨٤ ﻫ/ ١٢٨٥ م) واعتمد عليه وجعل منه مادة كتابه « الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ». وذكر الكتاب في كل فصل من فصوله .

(١٢) القاضي الفاضل (٢) . استشهد العز ابن شداد برسالة القاضي الفاضل التي وصف فيها قلعة آمد .

(١٣) ابن الكلبي (٣) : أخذ عنه ابن شداد بعض النقول من بعض مؤلفاته العديدة في أكثر من موضع .

---

(١) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدين ابن العديم ، مؤرخ محدث من الكتاب . ولد بحلب ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق ، وتوفي بالقاهرة . من كتبه « بغية الطلب في تاريخ حلب » التي اختصره في كتاب آخر سماه : « زبدة الحلب في تاريخ حلب » « الأعلام : ٥ / ١٩٧ » .

(٢) هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل : (٥٢٩ – ٥٩٦ ﻫ / ١١٣٥ – ١٢٠٠ م) . وزير من أئمة الكتاب ، ولد بعسقلان في فلسطين ، وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة وتوفي فيها . كان من وزراء صلاح الدين الأيوبي ، ومن مقربيه ، ولم يخدم بعده أحداً . وقد بقي من رسائله مجموعات . « الأعلام : ٤ / ١٢١ ».

(٣) هو هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب بن بشر الكلبي ، أبو المنذر المتوفى سنة (٢٠٤ ﻫ / ٨١٩ م) . مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كأبيه ، كثير التصانيف ، من أهل الكوفة ، وكانت وفاته فيها . « الأعلام : ٩ / ٨٧ » .

(١٤) الهمذاني (١) : نقل ابن شداد عنه من كتابه « عنوان السير في محاسن البدو والحضر » ونقل أيضاً من تذييله على تاريخ الطبري المعروف بتكملة تاريخ الطبري .

(١٥) ابن واضح (٢) ويعرف أيضاً بابن أبي يعقوب واليعقوبي . نقل عنه ابن شداد من كتابه « البلدان الكبير » وهو كتاب غير الكتاب المتداول بين أيدي الناس في الحاضر المعروف « بالبلدان الصغير » ، وربما كان كتابه « البلدان الكبير » قد فقد .

(١٦) الواقدي(٣) : نقل عنه البلاذري في كتابه « فتوح البلدان » واستشهد ابن شداد بتلك النقول

ومن مصادر العز ابن شداد التي أخذ عنها من مؤلفات الإسلاميين ولم ينوه بأصحابها :

---

(١) هو محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد ، أبو الحسن الهمذاني : (٤٦٣ – ٥٢١ هـ / ١٠٧١ – ١١٢٧ م) من كبار المؤرخين . سكن بغداد ، وبها نشأ وتوفي . من تصانيفه : « عنوان السير في محاسن البدو والحضر – خ – » . و « التذييل على تاريخ الطبري – ط – ، وغير ذلك « الأعلام : ٧ / ١٢٧ » و « هدية العارفين : ٢ / ٨٥ » .

(٢) هو أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفى بعد سنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) مؤرخ جغرافي ، كثير الأسفار . من أهل بغداد . صنف كتباً جيدة منها « البلدان – ط – » . « الأعلام : ١ / ٩٠ » .

(٣) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني،أبو عبد الله الواقدي : (١٣٠ – ٢٠٧ هـ) = (٧٤٧ – ٨٢٣ م) من أقدم المؤرخين في الإسلام . ولد بالمدينة ، ثم انتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ . ولي القضاء ببغداد واستمر بها إلى أن توفي فيها . « الأعلام : ١ / ٢٠٠ » .

١ — النسوي : (١)نقل ابن شداد عنه الكثير فيما يختص بغزو التتر للديار الإسلامية ، فقد أخذ من كتابه « سيرة جلال الدين منكوبرتي » ولم يصرح بذلك .

٢ — أسامة بن منقذ : (٢) أورد بن شداد شيئاً من مذكراته مع الصليبيين ولم يشر ابن شداد إلى نقله من كتاب « الاعتبار » ،

٣ — الهروي : استعان ابن شداد بـكتاب علي بن محمد الهروي « الإشارات إلى معرفة الزيارات » ونقل عنه في مختلفة ولم يشر إلى ذلك .

* * *

مصادر العز ابن شداد غير الإسلامية :

ألم ابن شداد في هذا الجزء « تاريخ الجزيرة » إلى تاريخ محبوب المنبجي » (٣) أغابيوس وأخذ عنه قليلا ، وأشار إلى ذلك .

والغريب أن ابن شداد لم يستشهد في كتابه « « الأعلاق » بشيء من « معجم البلدان » الذي أضحى كتاباً معروفاً ومشهوراً في زمن ابن شداد . ولم يرد في كتاب « الأعلاق » نص يشترك به و « معجم البلدان »

---

(١) هو محمد بن أحمد بن علي النسوي المتوفى سنة (٦٣٩ ﻫ / ١٢٤١م) مؤرخ، ولد في إحدى ضواحي « نسا » بفارس ودخل في خدمة السلطان جلال الدين منكوبرتي خوارزم شاه . من مؤلفاته : « سيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي » « الأعلام : ٦ / ٢١٦»

(٢) هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري ، أبو المظفر ، مؤيد الدولة : (٤٨٨ — ٥٨٤ ﻫ) = (١٠٩٥ — ١١٨٨م) : أمير من أكابر بني منقذ ، أصحاب قلعة شيزر ، قرب حماة ، ومن العلماء الشجعان ، له تصانيف في الأدب والتاريخ ، منها : سيرته في جزء سماه « الاعتبار » . « الأعلام : ١ / ٢٨٢ »

(٣) هو محبوب(أغابيوس)بن قسطنطين الرومي المنبجي،عاش حوالي سنة٣٣١هـ=٩٤٢م له كتاب : العنوان الكامل بفضائل الحكمة في التاريخ » . وتاريخ المنبجي حافل بالمعتقدات اليهودية والنصرانية « المنجد في الأدب والعلوم : ٥١٣ » .

سوى ماقيل حول تأسيس مدينة ميافارقين وإنشاء بيعتها ، فلقد قال الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض : إن هذا النص مقتبس من كتاب « التشعيث » السرياني .

* * *

مصادره غير التاريخية :

أما مصادر العز غير التاريخية فهي تشتمل على المصادر التالية :

١ ــ الجواليقي : استفاد ابن شداد من كتاب « المعرب من الكلام الأعجمي » لأبي منصور الجواليقي استفادة جزئية .

٢ ــ القاضي الفاضل : وقد نوه ابن شداد ببعض خطب القاضي الفاضل في الجهاد والاستسقاء، واستشهد بأشعار من شعر مسلم بن الوليد والفارعة الشيبانية ، وعبيد الله بن عمرو الساعدي .

والخلاصة أن ابن شداد كان واسع الاطلاع ، بعيد أغوار الثقافة. ويشهد كتابه الأعلاق بحقيقة ذلك .

* * *

تجزئة كتاب « الأعلاق » :

لما كان كتاب « الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة » شاملا لأجنادها الخمسة بالإضافة إلى إقليم الجزيرة فقد جزأ ابن شداد كتابه هذا إلى ثلاثة أجزاء . . فاختص المؤلف مدينته حلب وملحقاتها وجعلها موضوع الجزء الأول من كتابه فآثرها بالتقديم على غيرها من

البلاد الشامية ، لأنها بلده ومسقط رأسه وإلى ذلك أشار « وأبدأ بذكر جند حلب لكونها مسقط رأسي ومحل أنسي وناسي، وثديي الذي ارتضعت دره ، وبحري الذي تقلد نحري دره ، وموضع نزهتي ووطني ونقعتي ، والمكان الذي حمدت به الأيام . . . الخ . . » (١) .

فهذا النص يعرب بوضوح عن إفراد ابن شداد مدينته حلب باتخاذها موضوعاً للجزء الأول من كتابه « الأعلاق » .

أما الجزء الثاني والثالث من الأعلاق فهما موضوع التبادل بالترتيب والخلاف بين الدارسين ، وأنا أرى أن لاشبهة في الأمر ؛فابن شداد قد أقر في تقسيمه أن دمشق موضوع الجزء الثاني ، والجزيرة موضوع الجزء الثالث ، وهاهو يقول بصراحة لاجدال فيها :«وبعد فقد كنا قدمنا فيما سلف من كتابنا ذكر الشام وتنقل بلاده في أيدي الملوك والأمراء،وهانحن عاطفون عليه بذكر الجزيرة ومن ملكها أولا وأخيراً إلى حين خروجها عن أيدي التتار — أنقذها الله منهم — » (٢) .

إن ابن شداد يقطع بأن الكتاب اللاحق لتاريخ حلب ،كان تاريخ دمشق ، لتقديمه بالذكر ، وعناه بالقول بكلمة الشام ، والمعروف أنه عندما تذكر الشام فالمراد بذلك مدينة دمشق لأنها قصبة البلاد الشامية منذ القدم . فتقديم الشام بالذكر على الجزيرة يعني تقدم الشام بالترتيب وتخلف الجزيرة،ويستفاد بالتالي أن ترتيب تاريخ دمشق هو الجزء الثاني وتاريخ الجزيرة هو الجزء الثالث . وبناء على ماتقــدم فلا أرى أي شبهة في تجزئة الأعلاق ، وقول ابن شداد هو الفصل في هذا الموضوع ، وهو

---

(١) « الأعلاق الخطيرة : ١ / ١ : ٣ » .

(٢) « الاعلاق الخطيرة : ٣ / ١ : ٣ » .

أولى بالاتباع والأخذ،ولا داعي بعد هذا لمعاودة الحديث عن الشبهة التي أثارها الأستاذ حبيب زيات وجان سوفاجيه وسواهما من المستشرقين بتقديم تاريخ الجزيرة بالترتيب على تاريخ دمشق . ويستفاد من دراسة كتاب الأعلاق تحديد كتابة كل جزء .

لقد ابتدأ ابن شداد بكتابة تاريخ حلب « الجزء الأول » سنة ٦٧٣ هـ. واستغرق في كتابة تاريخ دمشق « الجزء الثاني » حوالي خمس سنوات متتاليـــة على مدى الأعوام (٦٧٤ — ٦٧٨ هـ) وأما تاريخ الجزيرة فقد انتهى من وضعه سنة ٦٧٩ هـ والمرجح أن ابن شداد كان يكتب في تاريخ الجزيرة وهو يكتب تاريخ دمشق،ويدلنا على ذلك قول ابن شداد في تاريخ الجزيرة :

« واستمرت رأس العين في يده إلى عصرنا الذي وضعنا فيه هذا التاريخ ، وهو سنة خمس وسبعين وستمائة » (١) .

وقد ختم ابن شداد كتابه « تاريخ الجزيرة » دون الوفاء بشرطه الذي قرره في ديباجة الجزء الثالث : « ونختم بذكر الموصل ، وإن لم تكن من الجزيرة ، وإنما ساقنا إلى ذكرها المجاورة والمصاقبة . ولأنها كانت معدودة في الولايات الجزرية في صدر الإسلام في أيام بني أمية وبعض ملوك بني العباس » (٢) .

إننا لاندري الأسباب التي حملت ابن شداد على الكف عن الكتابة عن الموصل واقتصاره عما اختطه لنفسه وتقصيره عما رسم . فربما كانت الشيخوخة والمرض قد أثقلا ظهره ، وربما كان ثقل المهمات التي واجهها في آخر حياته ، فآثر الراحة على التعب فغض النظر عن كل مايتعلق بأمر الموصل ، واقتصر على ماقدم .

* * *

---

(١) « الأعلاق الخطيرة : ٣ / ١ : ١٥٠ ».

(٢) « الأعلاق الخطيرة : ٣ / ١ : ٤ » .

نبذة عامة من جغرافية الجزيرة وتاريخها

يجدر بنا ونحن نقدم الجزء الثالث من كتاب « الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة » الخاص بتاريخ الجزيرة أن نأتي بلمحة موجزة تكشف عن جغرافية الجزيرة وتساعد على رسم خريطتها العامة ، وتحدد معالم تضاريسها وطبيعتها قبل الدخول في الكتاب (١) .

« يطلق جغرافيو العرب اسم الجزيرة للدلالة على الجزء الشمالي من الأراضي المحصورة بين نهري دجلة والفرات ، وعلى ملحقاتها من الأقاليم والمدن الواقعة إلى الشمال وإلى الشرق عبر دجلة الأعلى التي تضم ميافارقين وأرزن وأسعرت ، وكذلك الشقة الغربية من الأراضي الفراتية التي تجاور الطريق البري الموازي لمجرى الفرات في الاراضي السورية .

يتألف سطح الجزيرة من هضبة متوسطة الارتفاع ، وأبرز مافيها من تضاريس :

- جبال قرجاداغ التي تأخذ بالامتداد بين مدينة آمد ومجرى الفرات .
- طور عبدين الممتد بين مدينتي ماردين وجزيرة ابن عمر .
- جبل عبد العزيز الممتد بين نهري بليخ والخابور .
- جبل سنجار الممتد بين نهري الخابور ودجلة .

(١) انظر خارطة الجزيرة .

– الطرف الغربي من جبال بارمّا (بيت الرمان) (حمرين) الواقعة غربي دجلة والمسماة بجبل مكحول الممتد إلى الجنوب من الموصل .

وتشكل الجبال في شمال الجزيرة في إرمينية خزاناً ضخماً للمياه بسبب الثلوج التي تتراكم عليها شتاءً ، والتي تأخذ مياهها بالذوبان في أوائل الربيع فتمد الأنهار بمعين لاينضب وتزيد في منسوبها ولاسيما الفرات ودجلة وروافدهما طوال العام ، وبخاصة روافد الفرات التي ترفد ضفته اليسرى ، ونهر بليخ الذي تنحدر مياهه قريباً من حران . والخابور الذي تنحدر مياهه من رأس العين ، والهرماس الذي ينبع من طور عبدين،ويرفد بمياهه الغزيرة ضفة الخابور اليسرى . وتتفجر العيون والينابيع في جبل سنجار فتغذي بمياهها نهر الثرثار الذي تغيض مياهه في رمال البادية بالعراق .

يحد الجزيرة من الشمال والشمال الشرقي أرمينية ، ومن الشرق آذربيجان ، ومن الجنوب العراق ، ومن الغرب الشام ، ومن الشمال الغربي إقليم ثغور الجزيرة .

استوطنت الجزيرة ثلاث قبائل عربية عدنانية ، وهي بكر وربيعة ومضر ، فاستقرت ربيعة في الشرق . واستقرت مضر في الغرب . وأقامت بكر في الشمال ، وتسمت ديار الجزيرة بأسماء هذه القبائل التي حلت فيها ، فقيل : ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر .

وقد سكن الجزيرة من الأقوام غير العرب عناصر آرامية استوطنت في (طور عبدين) ، وأخرى كردية أقامت في إقليم الموصل ، وأخرى أرمنية سكنت إلى الشمال من نهر دجلة الأعلى .

وكانت للجزيرة أهمية اقتصادية واستراتيجية في القديم والحديث ،

فهي تقوم في موضع تتقاطع عنده خطوط المواصلات بين العراق والأناضول من جانب، وبين العراق وسورية من جانب آخر ، وكذلك بين الأقاليم الأرمنيه الإيرانية وسورية من ناحية،والعراق من ناحية أخرى .

وقد قامت في الجزيرة كثير من بلدان الأسواق ، والمدن التي تقوم على النهرين وعلى فروعهما في طور عبدين ، وعلى طول الطريق الذي يربط بين الموصل والرقة .

وقد عرفت الجزيرة السيادتين الفارسية والبيزنطية . فخضعت الأطراف الغربية من الجزيرة للسيادة الرومانية البيزنطية . وخضعت الأطراف الشرقية للسيادة الفارسية . ولما امتدت الفتوحات الإسلامية كانت بيزنطة مستحوذةً على الإقليم الممتد من رأس العين إلى الفرات ، والسهل الممتد إلى الجنوب من طور عبدين . وكان الحد يقوم بين نصيبين ودارا عند قلعة سرجة .

وعندما تقدمت قوات الفتح الإسلامية واحتلت الشام عُزِلَتْ الحاميات البيزنطية ولم يعد باستطاعتها الاتصال بالإمبراطورية البيزنطية إلاّ عن طريق أرمينية ،

ولمّا تقدمت قوات عياض بن غَنْم نحو الجزيرة لم تلق قواته أية مقاومة ذات شأن في تقدمها في فتح الجزء الغربي من الجزيرة فاستسلمت لها بعض المدن صلحاً كالرُّها وبعضها الآخر حرباً . وتم فتح الجزء الغربي من الجزيرة مابين سنتي ١٧ هـ/ ٦٣٨ م و ٢٠ هـ/ ٦٤١ م وتم فتح الجزء الشرقي من الجزيرة سنة ٢٠ هـ/ ٦٤١ م على يد جنود قادمين من العراق .

وشهدت الجزيرة في العصر الأموي صراعاً رهيباً بين الشاميين وشيعة العراق . فقد قتل سليمان بن صُرَد الذي كان يظاهره زفر بن الحارث القيسي سنة ٦٥ هـ/ ٦٨٥ م في معركة بالقرب من رأس العين دارت بينه وبين نائب عبيد الله بن زياد . ولما انتصر المختار الثقفي على الشاميين سنة ٦٧ هـ/٦٨٦م على أحد فروع الزاب احتل المنتصرون نصيبين ودارا وسنجار

وقد اضطر عبد الملك بن مروان إلى فتح الجزيرة قبل أن يتمكن من أن يشخص لهزيمة مصعب بن الزبير في دير الجاثليق بالعراق سنة ٧٢هـ/ ٦٩١ م

وفي الجزيرة أيضاً وقع القتال بين القيسية والتغلبية قبل هذا التاريخ وبعده .

وكذلك شبت عدة فتن في الجزيرة أيام الحجاج وبعد ذلك في عهود الخلفاء الأمويين الأخيرين حين نجح خوارج الجزيرة في الاستيلاء على مقاليد السلطة .

وقد اتخذ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية من حران قصبةً له أيام حكمه الأخير .

وكان أول ولاة الأمويين على الجزيرة معاوية بن أبي سفيان ، فقد عهد عثمان بن عفان إلى معاوية عندما كان والياً على الشام بضم الجزيرة إلى ولايته ، ثم أصبحت الجزيرة من بعده ولايةً قائمةً بذاتها تضم ثلاث كُوَر،وتولى أمر ولايتها حيناً أفراد من الأسرة الأموية أمثال محمد بن مروان ، ومسلمة بن عبد الملك ، ومروان بن محمد الذين كانوا في الوقت نفسه ولاةً على ولاية أرمينية المجاورة .

ولم تخضع الجزيرة للعباسيين إلاّ بعد مقاومة شديدة ، بل لقد وقعت أحداث خطيرة فيها ، فشهدت فتنة عبد الله بن علي — عم المنصور —

وقد عرفت ولاية الجزيرة بأنها معقل الخوارج . وكانت من أشد الفتن فتنة الوليد (١) بن طريف الخارجي التغلبي التي قادها في عهد هارون الرشيد . ثم فتنة هارون الشاري التي قضى عليها المعتضد (٢) .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) تخلصت الجزيرة مدة من إسار السلطة العباسية ، وصارت تابعة لحاكم مصر الطولوني ،وذلك في ولاية إسحاق بن كُنْداجيق، ثم في ولاية محمد ابن أبي الساج، ثم في ولاية ابنه إسحاق،ولكن الخليفة المعتضد استرد الجزيرة بعد سنة (٢٧٩/ﻫ ٨٩٢ م) .

والجزيرة موطن الأسرة الحمدانية التي عمــدت بعد كثير من التجوال إلى مد سلطانها على الولاية بأسرها التي كانت مقسمة بين الإمارتين الحمدانيتين (إمارة الموصل) و (إمارة حلب) اللتين كانتا مستقلتين تماماً تقريباً ، وإن كانتا تعترفان بسلطان الخليفة ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى حكم بويهية بغداد بعد الفتح الذي تم على يد عضد الدولة سنة ٣٦٧ ﻫ/ ٩٧٧ م .

ثم قسمت الجزيرة نتيجةً للضعف المتزايد الذي لحق بالبويهيين بين المروانيين في الشمال (ديار بكر) والعقيليين (الموصل) الذين اعترف أمير من أمرائهم هو قرواش بن مقلد سنة (٤٠١ ﻫ/ ١٠١٠-١٠١١م) بسيادة الفاطميين . وقد قضى السلاجقة على هاتين الأسرتين .

(١) انظر : « الأعلاق الخطيرة : ٣ / ١ : ٢١ » .

(٢) انظر : « الأعلاق الخطيرة : ٣ / ١ : ١٢٦ وكذلك الحاشية (٣) » .

وكانت الجزيرة ولاية غنية خصيبة بالنسبة لغيرها من الولايات ، تمدها أنهارها بالماء ، ولم تعدم فيافيها الكثيرة المراعي والعيون والآبار . وقد كان المثلث المحصور بين الجبلين : جبل عبد العزيز وجبل سنجار ، منطقة مزروعة متَرامية الأطراف . وكذلك كانت تقوم مناطق زراعية كبيرة على طول نهري بليخ والخابور .

ومن أهم المحصولات والمنتجات الزراعية والحيوانية فيها الحبوب من قمح وذرة وشعير وأرز وسمسم ثم الزيتون وقصب السكر والأعناب والقطن والزبيب والفواكه والأعناب والثمار المجففة والزيت والتين وعسل النحل والمربى والبندق والكستناء والبلوط . وكذلك الخيول والأغنام ، والطيور والدجاج ، واللحوم والأصواف ومشتقات الألبان من زبد وجبن وسمن ،

وأهم مصنوعات الجزيرة الصابون. والقطران ، والفحم النبـاتي ، وطحن الحبوب ، وصناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية . ومن صناعات الجزيرة المعدنية صناعة المدى والسهام والسلاسل والموازين ، واستخراج معدني الحديد والنحاس .

وأهم موانىء الجزيرة النهرية جزيرة ابن عمر ، فقد كانت هي الثغر الذي تشحن فيه البضائع الجائية من أرمينية وبلاد الروم . وبالس الثغر المخصص لشحن البضائع الواردة من الشام .

ولأهمية الجزيرة اقتصادياً لم يكن عجباً أن تجنح خلافة بغداد والسلطات القائمة فيها بشتى الأحوال إلى الاحتفاظ بالجزيرة ووضعها تحت سلطانها المباشر أو غير المباشر ، وهذا يبين سياسة المعتضد وسياسة السلطة المركزية في بغداد في العصر الحمداني .

ومن العسير أن نكون فكرة دقيقة عن موارد الجزيرة . ذلك أن مقاديرها تختلف اختلافاً كبيراً ، وإذا ماقورنت أرقامها التي ساقها قدامة وأرقام ميزانية سنة ٣٠٦ هـ التي ذكرها فون كرومر بأرقام الخراج الذي أداه أمير الموصل الحمداني ناصر الدولة أو طلب منه ، لوحظ الهبوط الكثير في الموارد التي كانت تؤديها الجزيرة .

يقول قدامة : إن خراج ديار مضر كان ستة ملايين درهم . وديار ربيعة ٩,٦٣٥,٠٠٠ درهم والموصل ٦,٣٠٠,٠٠٠ .

على أن ناصر الدولة الحمداني اتفق مع الخليفة العباسي سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٤ م على أن يؤدي عن ديار ربيعة ، وجزء من ديار مضر : ٣,٢٠٠,٠٠٠ درهم . وفي سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٩ م طلبت منه الدولة البويهية ثمانية ملايين درهم ، ولكن الأمر استقر على ثلاثة ملايين ، ويبدو أنه لم يؤد قط أكثر من مليونين من الدراهم . وحتى إذا ماأضيف ما أُدي عيناً كان قليلاً ، ولكنه لم يكن بالمبلغ الهين في نظر السلطة المركزية في بغداد (١) »

* * *

(١) عن « دائرة المعارف الإسلامية : ١١ / ٤٣٢ - ٤٣٦ » بتصرف .

كتاب الأعلاق الخطيرة — الجزء الثالث

ينطوي الجزء الثالث من كتاب « الأعلاق الخطيرة في ذكر الشام والجزيرة » على مقدمة وثلاثة أبواب مفصلة .

ففي المقدمة عرض المؤلف جغرافية الجزيرة الفراتية،فعين موقعها وحدودها وطبيعة سطحها،وحدّد إقليمها وموقعه ، ثم بين سبب تسمية هذا الصقع بالجزيرة ، وسبب إضافتها إلى أثور أو أقور ، واستشهد بأقوال من سبقه من الجغرافيين والمؤرخين بخصوصها .

ثم أتى المؤلف على ذكر ماعرف من ديارها ، فذكر ديار مضر وديار ربيعة وديار بكر . فأفرد لكل من هذه الديار باباً قائماً برأسه .

الباب الأول : حدد فيه ديار مضر ومافيها من أمهات المدن الواقعة في نطاق المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي من الجزيرة .

الباب الثاني : حدد فيه ديار ربيعة ، ومافيها من أمهات المدن في المنطقة الواقعة في الجنوب الغربي من الجزيرة .

الباب الثالث : وحدد فبه ديار بكر ومافيها من أمهات المدن الواقعة في نطاق المنطقة الشمالية من الجزيرة .

وفي ثنايا أبواب هذا الجزء وفصوله يذكر مَنْ حل في الجزيرة ، وأقام في ديارهـــا أولاً وأخيراً من أمم وأقوام وقبائل وشعوب كان لها دور في جغرافيتها البشرية كالعرب والفرس والكرد والأرمن واليونان والروم والسلاجقة والخوارزمية والتتر .

ويأخذ المؤلف في الكلام على تاريخ أمهاتمدن الجزيرة ويتعقبها مدينة إثـــر مدينة اعتباراً من تاريخ فتـــح الجزيرة على يد عياض بن

غنم في السنة السابعة عشرة للهجرة في زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وحتى دخول التتر لديارها وإقامتهم فيها سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م ثم استمرارهم في احتلالها وإقامة نوابهم فيها إلى زمن المؤلف وكتابته عن بعض أخبارها في سنة ٦٧٩ هـ = ١٢٨٠ م أي إلى ماقبل وفاة المؤلف بأربع سنوات .

فنقرأ أولاً : تاريخ قصبة ديار مضر حران ، ونقرأ تاريخ حصني جملين والموزر ، وتاريخ الرقة وتاريخ الرها وتاريخ سروج وتاريخ قلعة جعبر ، وكذلك تاريخ البيرة .

ونقرأ ثانياً : تاريخ قصبة ديار ربيعة وأعني تاريخ نصيبين ، وتاريخ رأس عين ، وتاريخ قرقيسيا ، وتاريخ سنجار ، وتاريخ جزيرة ابن عمر.

ونقرأ ثالثاً : التاريخ المشترك لمدينتي آمد وميافارقين وهما في اجتماعهما ، ثم نقرأ على انفراد تاريخ آمد وتاريخ ميافارقين،ونقرأ أيضاً تاريخ حصن كيفا وتاريخ أرزن .

قدم المؤلف بين يدي كل مدينة من مدن الجزيرة ، حدد موقع المدينـــة ، وكشف عن طبيعـــة أراضيها ، وذكر ماكان يحاذيها وما يجاورها في بعض جهاتهـــا من نهر أو جبل أو سهـــل ، وذكر طالعها ، والبرج الذي صاحب ظهوره ساعة بنائها وأبعادها الفلكية من طول وعرض . وذكر كيفية إروائها ، واستقاء أهاليها ، والوسائل المستخدمة في استنباط مياهها ، سواء كانت أراضيها عذياً أو مما يتفجر فيها من العيون في داخلها أو مما يجاورها . أو ما أنشىء فيها من آبار أو ماجُرَّ إليها من أقنية . وكان يتطرق إلى ذكر المواد الأولية المستخدمة في بناء كل مدينة ، ويصف طبيعة صخورها وتربتها .وقد

يتجاوز المؤلف أحياناً في حديثه عن بعض المدن إلى ذكر أثر الشعور النفسي الذي يعتري من هو قائم فيها من سرور وفرح أو ضيق وضجر.

ويكشف المؤلف لدى ذكر بعض المدن عن مقدار ارتفاعها (وارداتها) ويبين مصادر هذا الارتفاع وبنوده ويقدر موارد كل بند من مواد ارتفاعها ، ويذكر بعض وجوه الإنفاق والنفقات .

ويصف ابن شداد طبوغرافية كل مدينة من مدن الجزيرة التي أرخ لها ، فهو يذكر ما احتوت عليه كل مدينة ، وما عرف فيها من قلاع وحصون ، وما أحاط بها من أسوار ، وما احتوت عليه أرباضها ، وما فيها من فصيل ، وما أقيم لها من أبواب ، وما في داخل كل مدينة من شوارع وأسواق ، وما أنشيء فيها من مساجد وزوايا ومدارس وخانقاهات ومزارات ، وترب (مقابر) ومشاهد ، وما أقيم فيها من معابد وبيع وأعمار وكنائس ، وما أنشيء فيها من ديارات وصوامع ، وما بني فيها من مارستانات وجواسق ، وما في داخلها من حمامات وفنادق ، وما أقيم فيها من أرباع ، وما في أطرافها من ربط وتكايا ، وما في جوارها من متنزهات وبساتين ، وما أقيم على أنهارها من معابر وجسور ، وما جرّ إلى داخلها من سرابات ، إلى غير ذلك . . .

أما ماذكره ابن شداد من الحوادث في هذا الجزء فإننا نطالع منها قيام الحمدانيين بامتلاك الجزيرة وخروجهم عن طاعة الخلافة العباسية ، ونشاهد تلاحم الحمدانيين وجهاً لوجه مع البيزنطيين وتوالي الحروب المستعرة بين الطرفين . ونشهد شحن الثغور بالجند والذخائر والمؤن والدواب واستنفار العواصم لأخذ الأهبة للطوارىء وسوق المدد والجند . ونطالع أيضاً بعضاً من أخبار أبي الهيجاء عبدالله ابن حمدان ، وأخبار ناصر الدولة أبي محمد الحسن ، وأخبار أخيه

سيف الدولة أبي الحسن علي ، وأخبار عدة الدولة أبي تغلب الغضنفر ابن ناصر الدولة ، وأخبار جميلة وبذلها الأموال بسخاء لتحصين ميافارقين وإقامة خندق حولها ، لإعاقة الأعداء عن دخولها ، ومشاركة زوج سيف الدولة العقيلية لجميلة في مشروعاتها الدفاعية .

ونطالع أخبار باد الكردي ، خال بني مروان الأكراد ، في ديار بكر ، ونقرأ مصرعه ، وانتقال ملك ديار بكر لأبناء أخته ، بني مروان .

ونطالع طرفاً من سيرة بعض أمرائهم ، كأبي علي الحسن بن مروان ، وممهد الدولة أبي منصور سعيد بن مروان ، ونصر الدولة أبي نصر أحمد بن مروان ، ونظام الدين أبي القاسم نصر بن أحمد ، وسعيد ابن أحمد ثم المنصور آخر أمرائهم .

ونطالع تملك وثاب بن سابق النميري مدينة حران ، ثم توالي أبنائه على إمرتها إلى أن أخرجهم عنها شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي وخضوع حران لحكمه ، ثم خروجها عن طاعته ، ثم انتفاضتها وثورتها على نائبه ، وعودة شرف الدولة إليها ودخوله البلد ، واقتصاصه من الثائرين بالتمثيل فيهم وصلبهم .

ونطالع في هذا الجزء طرفاً من أخبار العقيليين ، وخاصة أخبار شرف الدولة مسلم بن قريش ، ثم الصراع على السلطة عقب مقتل شرف الدولة الكائن بين أخي شرف الدولة إبراهيم وبين ولد شرف الدولة محمد ، واشتداد ذلك الصراع وانفلاله بتقدم السلطان جلال الدولة ملكشاه السلجوقي من إصفهان إلى الجزيرة وتملكه إياها ثم إقامته لنوابه فيها .

ونطالع أيضاً توالي الأمراء الزنكيين في الموصل و الجزيرة وسنجار وحلب ودمشق . ونجد طرفاً من أخبـــار الدولة الموحـــدة التي أقامها نور الدين محمود الشهيد في مصر والشام ودوره في تصديع القوى الصليبية الغازية الوافدة من أوربا، وعملية جمع قوى المنطقة العربية لدفع الأخطار عنها .

ويطلعنا هذا الجزء من الكتاب على طمع الغرب الصليبي في الشرق الإسلامي وامتلاك أقاليمه ، وقفز بعض قواتهم الغازية لاحتلال بعض مدن الجـزيـرة ، وإقامتهم مسلكاً لهم فيها كالرها وغيرها .

ويكشف هذا الكتاب عن الدور الإيجابي الفعال الذي نهض به السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن زنكي في توحيد القوى الإسلامية المتعارضة في المنطقة وتجميعها لمقابلة الغزو الصليبي الداهم ودحره .

ويمدنا هذا الجزء أيضاً بأخبار البيت الأيوبي وأمرائه الذين توالوا على حكم الجزيرة وامتلاك مدنها وقيام بعضهم بحكمها في ظل سيطرة السلطان الكبير صلاح الدين أو أخيه العادل سيف الدين .

ونقف أيضاً على أخبار الأراتقة ودورهم النضالي في حماية الجبهة الشمالية من البلاد الإسلامية من كيد القوى الغازية الصليبية ووقوفهم في صدها .

ونشهد ظهور بعض السلالات الحاكمة في بعض مدن الجزيرة كبني ينال بآمد وبني طغان أرسلان (الأحدب) ببدليس وغيرهما .

ونشهد أيضاً موقف الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ في الموصل وسنجار

ومعالجته لأحداث الغزو المغولي معالجة تعتمد على الدهاء أكثر من اعتماده على القوة والبأس ، ثم انفراط عقد بيته من بعده وانحلاله وخرابه في عهد أبنائه وزوال حكمهم وتلاشي أمرهم بخروجهم إلى مصر هرباً من بأس المغول .

ونطالع طرفاً من الحروب الطاحنة التي قادها السلطان جلال الدين منكوبرتي تدعيماً لملكه وتثبيتاً لعرشه في وجه قوات جنكيز خان الغازية التي ابتدأت في الهند وانتهت بمصرعه عند قرية من قرى ميافارقين سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) .

ويقص المؤلف علينا خطر الغزو المغولي التتري الخاطف الذي انقض من شرقي آسيا فأودى بخلافة بغداد وسقوطها على يد هولاكو خان عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ثم تدفق هذه القوات غرباً نحو الموصل والجزيرة . ثم سقوط مدن الجزيرة واحدة في إثر أخرى على يد هولاكو وقواده سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

وأبرز مافي هذا الجزء كتابات المؤلف عن أخبار الغزو المغولي ، فقد كان شاهد عيان ، وسفيراً مطلعاً على مجاري الأمور ووقائعها ، ويعرف ظواهر الأمور وخوافيها .

وأخيراً تعوض المؤلف في هذا الجزء لقيام دولة المماليك البحرية في مصر ، والدور الكبير الذي قامت به هذه الدولة في إيقاف المد المغولي الزاحف من الشرق إلى الغرب ، ثم تصدي سلاطينها لدحر القوات الغازية في معارك متتالية على يد المظفر سيف الدين قطز في عين جالوت سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) على يد السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس الذي كان له مؤلف هذا الكتاب وزيراً مساعداً وناصحاً أميناً .

وتبرز أهمية هذا الكتاب في النواحي التالية :

أً – يؤرخ هذا الكتاب لعدد من أمهات مدن القطر العربي السوري في الجزيرة وفي البر الشامي .

٢ً – وهو يكشف ويساعد على تقدير الحيـــاة الاقتصادية والحياة العسكرية والحياة الاجتماعية في التاريخ الذي قدر فيه هذا الارتفاع (الواردات) ليس للمؤرخين فحسب ؛ بل لكل من يتصدى لدراسة الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية ، عند أهل الاختصاصات الأخرى .

٣ً – وهو خير دليل لعالم الآثار ، وهو دليـــل أمين ومعين ناصح للمتقصي لتاريخ كل مدينة من مدن الجزيرة .

٤ً – أهمية الحوادث التي يذكرهـــا المؤلف لأنه كان شاهد عيان وسفيراً مطاعاً على خفايا الأمور وظواهرها ،ولأنه كان وزيراً للظاهر بيبرس .

* * *

اهتمام الباحثين المتأخرين بقيمة الكتاب

حظي كتاب « الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» باهتمام الباحثين المحققين والدارسين في الغرب والشرق على السواء . فأول من انتبه إلى هذا السفر النفيس من المتأخرين المستشرق«أمدروز»(١)

---

(١) أمدروز . هـ – ف . Amedroz, H.F – حياته : ١٨٥٤ – ١٩١٧ م مستشرق سويسري الأصل ، انجليزي الجنسية والثقافة . تفرغ لدراسة العربية ، ولاسيما مخطوطاتها ، وحرر في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية . « المستشرقون : ٢ / ٤٩٥ » .

منذ سبعين عاماً ، فبين خطر الكتاب وعظيم أثره ، ونشر منه فصلاً عرّف فيه بأهمية الجزء الثالث من هذا الكتاب الخاص « بتاريخ الجزيرة » وهو الجزء الذي نقدمه .

وقد انتبه إلى كتاب « الأعلاق » عامة الأستاذ حبيب الزيات(١) ، فكتب مقالاً حوله نشره في مجلة المشرق

ونشر الأب شارل لودي(٢) فصلاً من الجزء الأول من الكتاب المختص بتاريخ حلب .

وكتب المستشرق الفرنسي كلود كاهين(٣) مقالاً عن الجزيرة في أواسط القرن الثالث عشر نقلاً عن عز الدين ابن شداد.نشره في مجلة الدراسات الإسلامية ــ العدد الثامن : ١٩٣٤ » .

وأشار كاهين أيضاً في كتابه « سورية الشمالية أيام الصليبيين » الذي نشره سنة ١٩٤٠ إلى ابن شداد ومخطوطاته وذكر أن الأستاذين حبيب زيات وجان سوفاجيه (٤) يعتزمان نشر الكتاب ،

إلا أن مشروعهما لم يكتب له التوفيق لعدم قناعتهما باكتمال الكتاب .

وأول العاملين على نشر هذا الكتاب كان المستشرق الفرنسي

---

(١) حبيب زيات: كاتب ومؤرخ اجتماعي،نشر مجموعة من المقالات فيمجلةالمشرق (١٩٤٩ – ١٩٥٣ م) وأكثرها في التاريخ الاجتماعي أخذاً عن المصادر العربية القديمة

(٢) شارل لودي . Ledit. CH.

(٣) كلود كاهين Cahen,Cl. ولادته سنة ١٩٠٩ .«المستشرقون : ١ / ٣٢٣»

(٤) جان سوفاجيه Sauvaget. j حياته (١٩٠١ – ١٩٥٠) .

دومينيك سورديل(١) فحقق القسم الأول من الجزء الأول من الأعلاق الذي يختص بتاريخ حلب . الذي تحدث فيه ابن شداد عن طوبوغرافية حلب ، وأورد فيه أيضاً طرفاً مما ذكر في مدحها نثراً ونظماً ، وقوام هذا القسم المنشور(١/ و — ١٢٥ و) صفحة . وطبع هذا القسم في بيروت في المطبعة الكاثوليكية ضمن منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق سنة ١٩٥٣ م . ثم انقضى ربع قرن دون أن يشفع هذا القسم بتتمته ، وسوف أعمد إلى نشر تتمة هذا الجزء إذا تأكد لي أن المستشرق سورديل قد عزف عن إكماله .

أما الجزء الثاني من الكتاب فقد نهض الدكتور المرحوم سامي الدهان بشأنه وخطا خطوته الجريئة ، غير عابىء بأقوال المثبطين للعزائم ، وغير آبهٍ بأقوال القائلين بنقص الكتـــاب ، ومضى في سبيـــله ، فحقق الجزء الثاني متخطياً جميع الصعوبات التي اعترضت عمله ، ووفق في فخرٍ واعتزازٍ بإنجـــاز مابدأ به وأوفى على الغـــاية من الخطة التي ذكرها في نشر التاريخ الطبوغرافي لبلاد الشام العربية بكل أقسامها وأجنادها .

فنشر أولاً القسم الأول من الجزء الثاني وقوامه الصفحات :

(١ و — ٨٢ و) سنة ١٩٥٦ ، ثم أردفه بشفيعه القسم الثاني وقوامه الصفحات (٨٢ ظ — ١٤٦ و) سنة ١٩٦٣ ، وبذلك أنجز الدكتور الدهان تاريخ دمشق ، والأجناد الثلاثة الأخرى الملحقة بالشام ، وهي جند لبنان ، وجند الأردن ، وجند فلسطين ، وقد طبع القسمان في

المطبعة الكاثوليكية في بيروت ضمن منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق .

ثم بقي الجزء الأخير من « الأعلاق » الخاص بتاريخ الجزيرة والذي كان لي الشرف في نشره وتقديمه . ولا أعلم أن أحداً فكر في نشره بعد الأستاذ حبيب زبات وجان سوفاجيه ، سوى ما ردده الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض ، فقد كان يرجو أن يوفق لتحقيقه ونشره فأعلن عن رجائه هذا في حاشية أثبتها في مقدمته التي قدم بها المنشور من تاريخ ميافارقين باسم تاريخ الفارقي الذي نشره في سنة ١٩٥٩ م . ولم أجد بعد ذلك من فطن إليه .

* * *

الأصول المخطوطة المعروفة للجزء الثالث من الأعلاق الخطيرة

توصل بروكلمان(١) في كتابه « تاريخ الأدب العربي » إلى معرفة ثلاثة أصول للجزء الثالث من كتاب « الأعلاق الخطيرة » الخاص بتاريخ الجزيرة ، فأتى على ذكرها وهي :

١ً — النسخة المحفوظة في مكتبة البودليين في جامعة أوكسفورد .

٢ً — النسخة المحفوظة في مكتبة الدولة في برلين الغربية .

---

(١) كارل بروكلمان Brockelmann. C. ١٨٦٨ - ١٩٥٦ م مستشرق ألماني له تاريخ الأدب العربي . وقد أعاد طبعته وزاد عليه ثلاثة مجلدات ضخمة سنة ١٩٤٢ وقد ابتدأ بترجمة هذا الكتاب الدكتور عبد الحليم النجار فنشر طرفاً من الجزء الأول في ثلاثة أقسام ثم أخذ باستكمال ترجمة الكتاب الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور السيد يعقوب بكر فأصدرا قسمين آخرين. وله أيضاً كتاب « تاريخ الشعوب الإسلامية » نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس والأستاذ منير البعلبكي .

٣ ـ النسخة المحفوظة في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت : واعتمدت على مخطوطتي البودليين وبرلين . أما مخطوطة مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت فلم أتمكن من التوصل إليها ، بالنظر للأحداث الدامية التي مرَّ بها القطر اللبناني الشقيق ، والتي نرجو ألا تتكرر ولذا لم نتمكن من الانتفاع بها في عملنا في التحقيق .

ولقد اتخذت من مخطوطة البودليين أصلاً للتحقيق ، وعليها كان الاعتماد ، وأشرت إليها دائماً بكلمة « الأصل » وأشرت إلى ترقيم أوراقها وجهاً أو ظهراً في هامش هذه الطبعة . وهذه المخطوطة محفوظة في مكتبة البودليين في جامعة أوكسفورد وهي مسجلة في فهرستها تحت الرقم : Marsh 333 .

ويبلغ عدد أوراق هذه النسخة ١٣٨ ورقة . وتعد مسطرتها ١٩ سطراً ويقارب عدد الكلمات في السطر الواحد نحواً من إحدى عشرة كلمة . وكتبت هذه المخطوطة بقلم النسخ العادي والعناوين بقلم الثلث وأدرجت العناوين فيها غالباً مع النص .

وتبين لي من دراسة هذه المخطوطة أنها مراجعة على الأصل الذي نسخت عنه ، بدليل تعدد مجالس مراجعتها ، وتعدد الإشارة إلى ذلك في هوامشها . وتبين لي أن الناسخ استدرك فيها كل ماسها عنه أو قفز عنه بصره ، فأثبته في الهامش ، وأومأ إلى مكانه في صلب النص بتثبيت إشارة تعلم عن ذلك .

وقد جاء في ختامها :

« كان الفراغ منه بكرة نهار السبت خامس عشر رجب في سنة

تسع وثمانين وسبعمائة على يد أضعف العباد ، راجي عفو ربه وغفرانه سليمان بن غازي بن محمد الأيوبي . رحم الله من ترحم عليهم ولسائر المسلمين آمين يارب العالمين ، والحمد لله والصلاة على سيد المرسلين».

وتبين لي من فحص مخطوطة البودليين سلامة هذا الأصل من كل نقص في جانبيها أو في باطنها،والتعقيب بين أوراقها يؤيد سلامتها .

وجهدت للتعرف على ترجمة الناسخ سليمان بن غازي بن محمد الأيوبي في تراجم رجـال القرن الثامن والتاسع الهجريين ، فلم أوفق في مسعاي ، ولم أقع على أي ذكر له فيها .

أما نسخة البودليين فقد مهرت بعنوان«مجمع البلدان»ونسب تأليفها إلى ياقوت الرومي .

ومما يدحض هذا الالصاق :

١ً ـ اختلاف طبيعة الخط ، والكتابة جاءت لاحقة ومتأخرة عن زمن كتابته .

٢ً ـ في نسبة تأليف الكتاب لياقوت الرومي جهل صارخ لوفاة ياقوت الرومي في سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م والكتاب يتحدث عن وقائع تمتد إلى سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠ م .

كل هذا ينفي أن يكون الكتاب لياقوت الرومي .

أما الأدلة التي تثبت أن الكتاب لابن شداد فهي ماذكره ابن شداد من كتبه الأخرى المعروفة له مثل « جنى الجنتين في أخبار الدولتين » و « سيرة الملك الظاهر بيبرس » ، ثم سفـارته لدى هولاكو

في ثنايا الكتـــاب تؤيد أن الكتاب هــذا هو من مؤلفات ابن شداد وأنه الجزء الثالث من كتابه « الأعلاق الخطيرة » الذي وضعه في تاريخ الجزيرة ، والمعروف أن ابن شداد بسط القول في مقدمة كتاب الأعلاق شرطه بالكتابة عن تاريخ الجزيرة وقد وفى بشرطه بتقديم هذا الجزء من كتابه .

* * *

خصائص الرسم الإملائي في مخطوطة البودليين :

اتبع الناسخ القواعد الإملائية التي كانت سائدة في عصره ، وقد تجاوز بعضها ، وهذه بعض خصائص الكتابة المتبعة في مخطوطة البودليين :

١ً — المد : اتبع الناسخ في رسم المد في أول الكلمة نهجاً خاصاً به فالمـــد يرسمه بإثبات ألفين متتاليتين تتوج ثانيتهما همزة المـــد فمثل كلمة آمد كان يرسمها الناسخ هكذا : اآمد .

٢ً — همزة القطع : كثيراً ماكان يهمل الناسخ رسم همزة القطع ويعفي نفسه من رسمها .

٣ً — الهمزة في وسط الكلمة : اتبع الناسخ اسلوب التسهيل في رسم الهمزة في وسط الكلمة ونادراً ماأثبتها .

٤ً — الهمزة في آخر الكلمة : يهمل الناسخ رسم الهمزة بعد ألف المد في مثل أمراء فيرسمها أمرا،ويهمل اثباتها في آخر الكلمة اكتفاءً بالحرف الذي يناسبها .

٥ً – يخطىء الناسخ أحياناً فيثبت ألف الوصل في كلمة ابن بين علمين الثاني أبٌ للأول .

٦ً – الألف المقصورة والألف الممدودة في آخر الكلمة : يخطىء الناسخ أحياناً في كتابة بعض الكلمات التي تنتهي بالألف فقد يكتب بالألف الممدودة ماحقه أن يكتب بالألف المقصورة أو يجري العكس فيكتب ماحقه أن يكتب بالألف المقصورة ألفاً ممدودة .

٧ً –حذف الألف في وسط أسماء بعض الأعلام : كثيراً مايسقط الناسخ رسم الألف في الأعلام المشهورة والكثيرة التداول في مثل سليمان وعثمان وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق أو معاوية فيرسمها سليمن، عثمن ، ابرهيم ، اسمعيل ، اسحق ، معوية .

٨ً – الألف في مائة : لم يستقر الناسخ على قاعدة في نسخها فأحياناً يرسمها بزيادة الألف وأخرى بدونها . وقد يربط المائة أحياناً بالرقم الذي يسبقها وقد يفردهما .

٩ً – الحروف المعجمة . كثيراً مايهمل الناسخ الإعجام في بعض الحروف ظناً منه بفطنة القارىء وذكائه .

١٠ً – عدم الدقة في إعجام الحروف المعجمة فينقل رسم دينار إلى دنيار وأرمينية إلى أرميننة .

١١ – تقديم كتابة حرف على آخر : كثيراً مايقع الناسخ في الخطأ في الرسم فيقدم كتابة حرف متأخر على كتابة حرف متقدم عليه في الرسم في مثل قلعة فيكتبها قعلة .

٢٢ ــ شطر الكلمة الواحدة شطرين : يعمد الناسخ أحيـاناً عندما يضطره ضيق الفـراغ في نهايات السطور عن استيعاب كامل الكلمة إلى شطرها فيكتب طرفاً منها في نهاية السطر ويتم باقي الكلمة في مطلع السطر الأول .

* * *

الخطأ في النحو في مخطوطة البودليين :

أبرز الخطيئات في مخطوطة البودليين جاءت في تمييز المائة، فأكثر ماكان يورده الناسخ منصوباً ، ومن حقه أن يكون مجروراً .

وأرجح أن يكون هذا سهواً من الناسخ، ولا يد لابن شداد في ذلك.

واتبع ابن شداد أسلوب (أكلوني البراغيث) ، وهو أسلوب شاع في زمن المؤلف ، فأثبتنا ماأورده المؤلف على هذا النحو كما هو دون تغيير ، وقد أشرنا إلى ذلك في حينه . كما أشرت إلى كل خطأ نحوي لمسته في النص ونبهت عليه في الحاشية .

* * *

وصف مخطوطة برلين

مقر هذا الأصل في مكتبة الدولة في برلين الغربية وهي مسجلة فيها تحت الرقم : آ ــ ١٩٩ تاريخ الجزيرة .

199. a. تاريخ الجزيرة Hist. of Mesopotamia. Compiled in 679 - M. Fol. 168 pp.

وفي وسط الصفحة خاتم دائري . وهوخاتم مكتبة برلين ، وعلى هذه الصفحة مكتوب بالتركية العثمانية : كتاب تواريخي نام. وكتابات تركية أخرى لم أتبينها . وقد طمست معالم بعض الكتابات في صفحة العنوان بتبليلها بالماء والفرك .

وعلى ظهر هذه الصفحة أثبت دعاء سورة ياسين .

وعدد أوراق هذه المخطوطة (٦٨) ورقة ،وهي سليمة من جانبيها وخالية من الخرم في باطنها،والتعقيب فيها يدل على سلامتها لتعاقب الكلام فيها دون خلل . ومسطرة هذه المخطوطة ٢٣ سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات (١٤) كلمة ، وهي مكتوبة بقلم النسخ وقد أثبت الناسخ عليها العنوان التالي : كتاب تاريخ الجزيرة .

وجاء في ختامها :

« تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه على يد
أضعف عباد الله حاجي علي ابن الملاعبد
الجواد ابن عبد العليم ابن شهاب
الدين أحمد البكر القرشي الصديقي
التيمي . وذلك في سنة ألف
وثمانيــة وعشــرين
في ربيع الأول
من السنــة
م

ايا قاريا خطي سالتك بالذي أمات وأحيا والعظام رميم
لتسأل بالرحمن يغفر زلتي فأن إلهي لايزال رحيم

وهذه المخطوطة روجعــت على الأصــل ولم نشر إليها إلا عند الاستفادة منها . ولم نشر للاختلاف بينهما بالرسم » .

* * *

نهج التحقيق

اتبعت في تحقيق « تاريخ الجزيرة » الجزء الثالث من كتاب « الأعلاق الخطيرة » النهج التالي :

١ — اعتمدت على مخطوطة البودليين في التحقيق فاتخذتها أصلا ورمزت إليها بكلمة « الأصل » فأثبتها بنصها ولم أبدل إلا ماظهر لي فيه التصحيف أو التحريف أو الخطأ وأشرت إلى ذلك في الحواشي ونبهت إلى الخطيئات النحوية وأشرت إليها ، وصححت منها ماأرجح أنها من صنيع الناسخ ولا يد للمؤلف فيها .

٢ — استعنت بمخطوطة برلين في المقابلة واكتفيت بذكرها عند استفادتي منها ورمزت إليها بالحرف « ل » وأعفيت نفسي من الإشارة إلى خطأ الناسخ فيها لكي لاأثقل الحواشي بما لاطائل تحته .

٣ — أشرت بالهوامش إلى ترقيم صفحات الأصل وجهاً وظهراً وحددت مواقع الفواصل بين الصفحات في المتن .

٤ — عارضت النصوص المقتبسة على أصولها في مصادرها الأصلية . وأثبت في الحواشي أوجه الخلاف والتعارض والنقص والزيادة أو الخطأ و قمت باثبات النص كاملا في الحاشية عند وقوع التشويش بالأصل للاستفادة منه .

٥ — نقلت إلى الحواشي جميع التعليقات التي جاءت في هوامش الأصل ذات الشأن ، وأغفلت منها مادون ذلك .

٦ — أشرت بالحواشي إلى أسماء ذوي الألقاب،عند الالتباس بأصحابها ، وصعوبة التعرف على هوية أصحابها .

٧ — قمت بتخريج الآيات القرآنية الكريمة .

٨ — عزوت الأشعار لقائليها ، وأشرت إلى مظانها في الدواوين الشعرية أو الكتب الأدبية .

٩ — وضعت كشافات متعددة تشتمل على تعريفات بالأعلام والأماكن والأقوام والمصطلحات ، وغير ذلك مما يحتاج إلى تعريف أو شرح ، رتبتها على حروف المعجم تيسيراً للكشف عنها والإفادة منها ، ومعرفة مواقعها في متن الكتاب من أرقام الصفحات التي وردت فيها فمن ينشد تعريفاً بعلَم أو جماعة أو قوم أو مصطلح فليلتمسه في كشافه الخاص في موضعه في آخر القسم الثاني من الكتاب بمشيئة الله.

١٠ — عرّفت بالكتب ومؤلفيها ، التي استعان بها المؤلف في تصنيف تاريخ الجزيرة من « الأعلاق » وعملت لها كشافاً خاصاً بها .

١١ — وضعت كشافاً عاماً بأسماء المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق .

١٢ — ضمنت الكتاب خارطة الجزيرة الفراتية التي وضعها الدكتور فيصل السامر في كتابه « الدولة الحمدانية في الموصل وحلب » وجعلتها في أول الكتاب .

* * *

الرموز والأقواس

استعملت في التحقيق الرموز والاقواس والاشارات المبينه ادناه .

الأصل : إشارة إلى مخطوطة البودليين :

ل : إشارة إلى مخطوطة برلين .

ط : إشارة للكتاب المطبوع .

خ : أشارة للكتاب المخطوط

﴿ ﴾ القوسان المزهران لحصر الآيات القرآنية الكريمة .

[ ] القوسان المربعان أو المعقوفـــان لحصر الاضافات أو النقص الطارىء على النص

/ : الخط المائل في متن النص إشارة للفصل بين صفحات الأ صل

و ، ظ : في الهامش إشارة لترقيم صفحات الأصل وجهـــاً أو ظهراً .

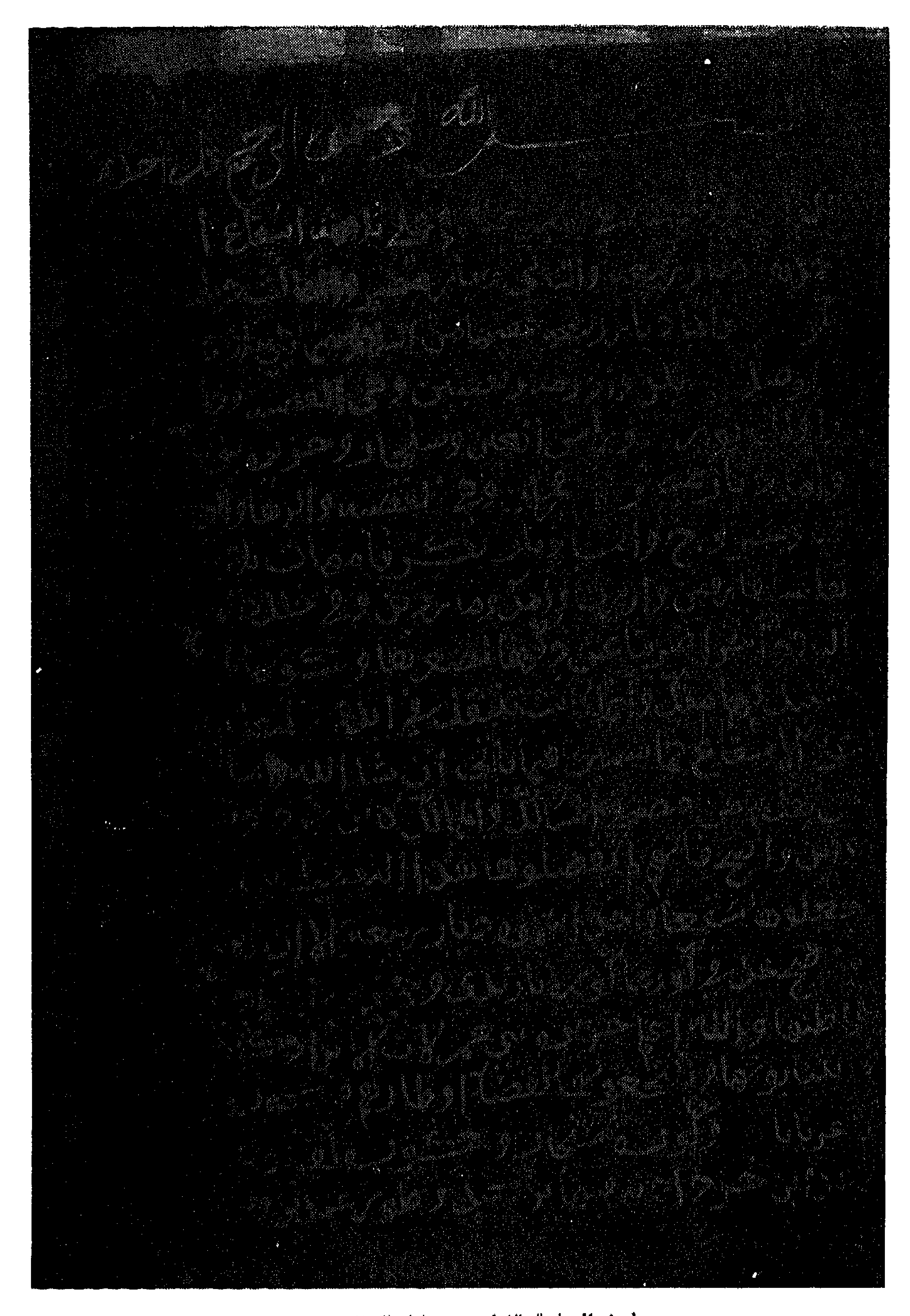
« » علامات التنصيص لحصر الأقوال والنقول وأسماء الكتب .

— — المعترضتان تحصران الجمل الاعتراضية .

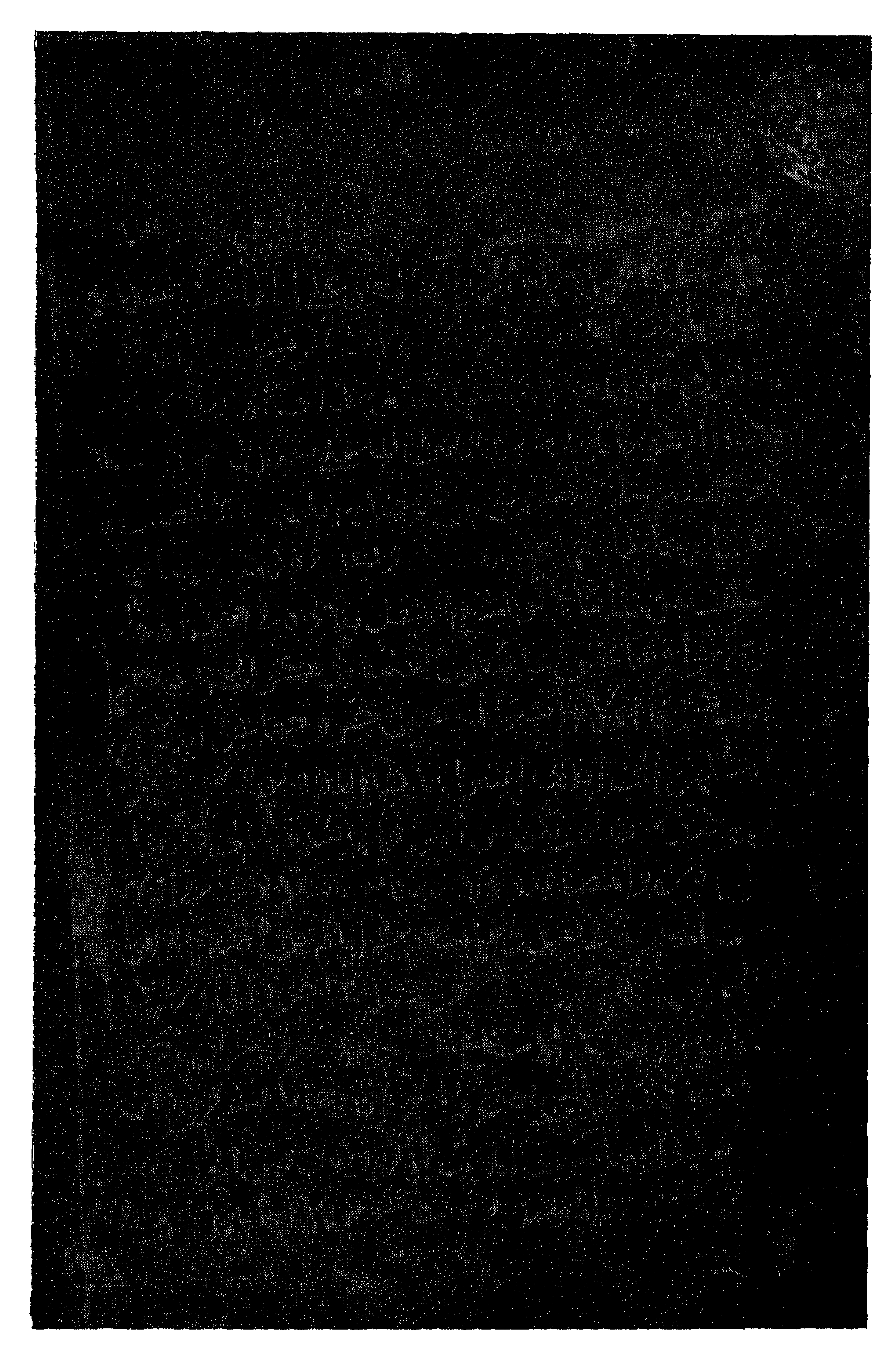
؟ : تردف بما لم نهتد إلى فهمه أو قراءته .

. . . تدل على بياض في الأصل .

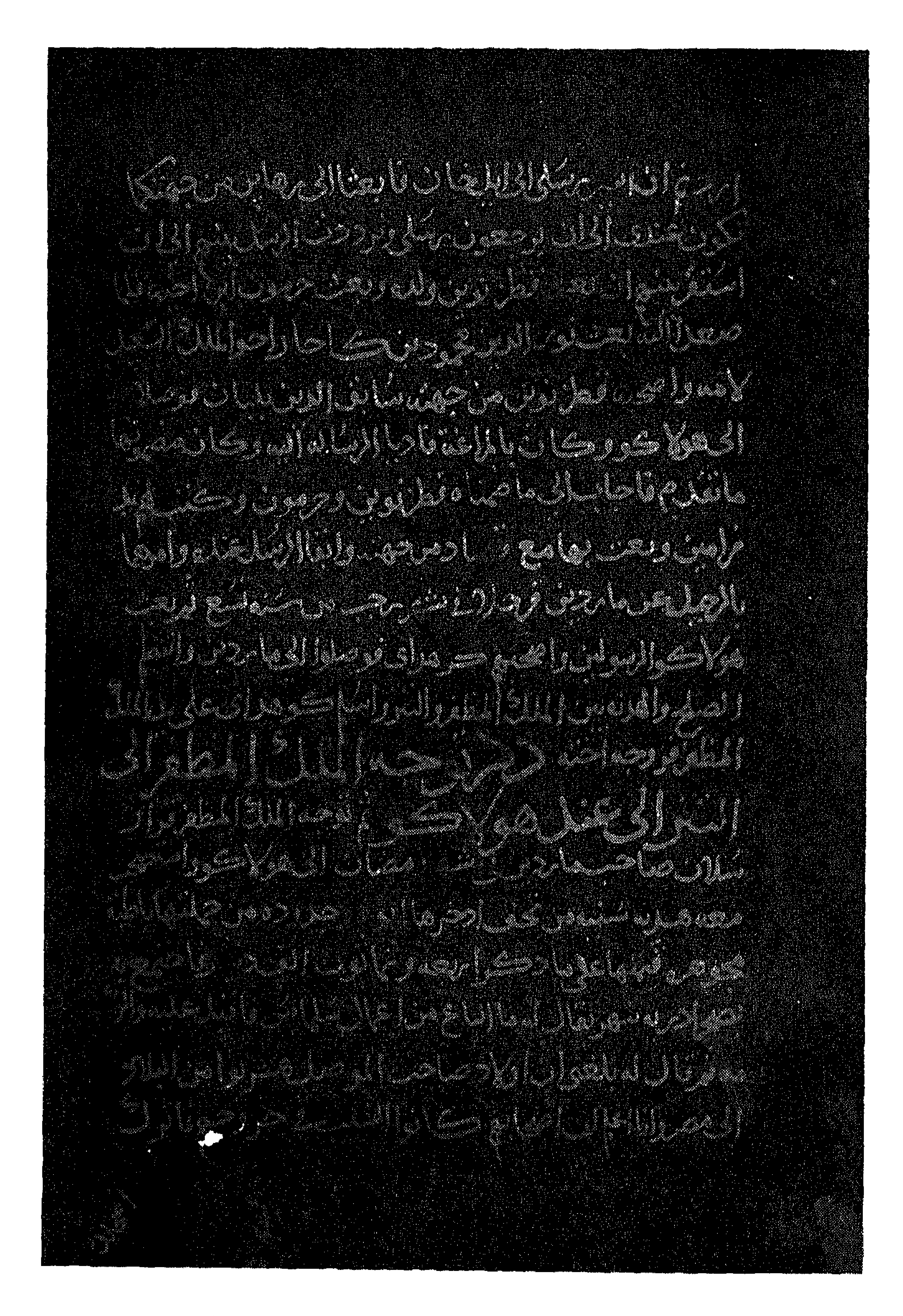
* * *



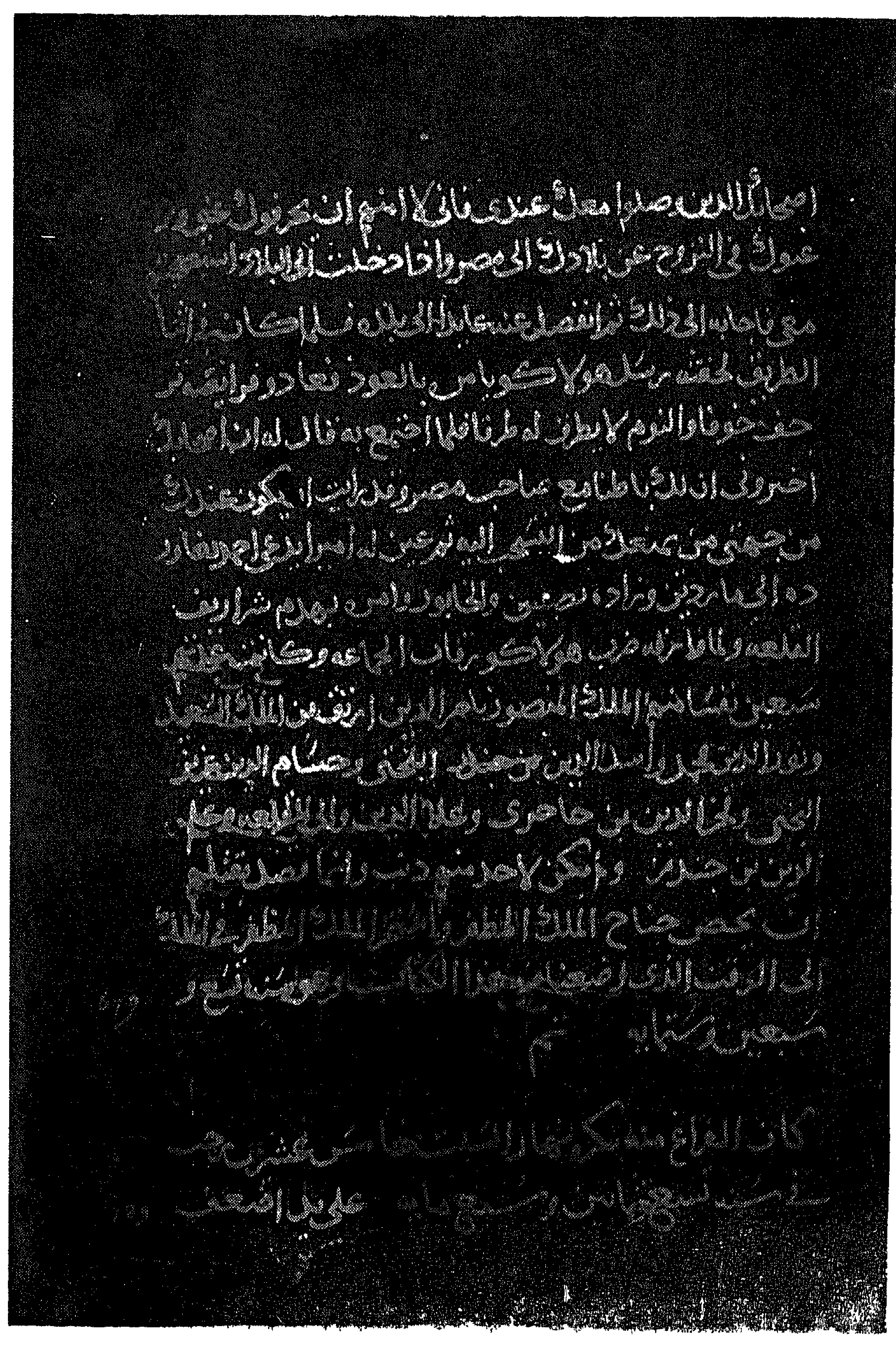
راموز الصفحة الاولى من مخطوطة البودليين



راموز الصفحة الثانية من مخطوطة البودليين



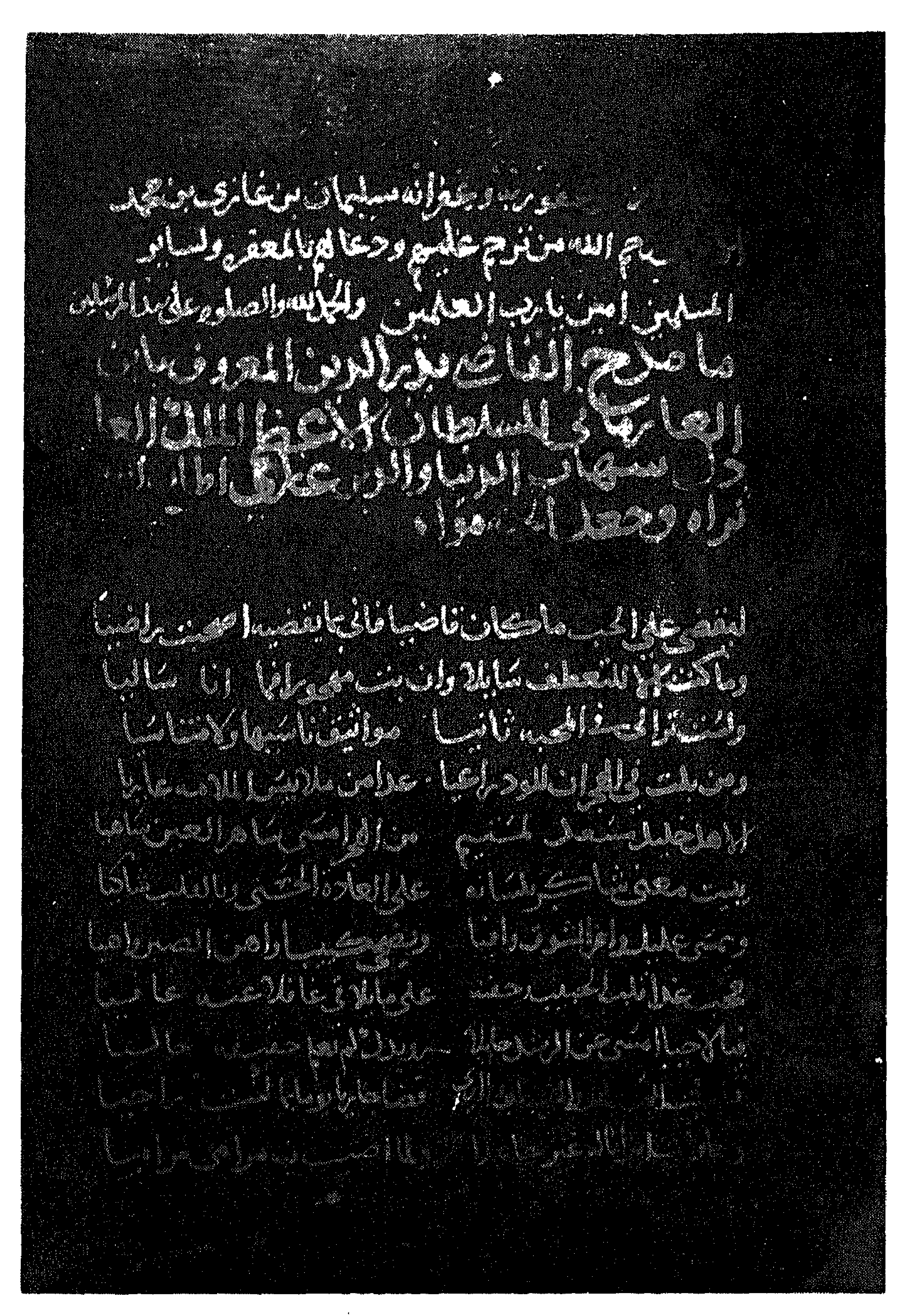
راموز صفحة ماقبل نهاية الكتاب من مخطوطة البودليين



اصحابك الذين صدوا معك عندى فانى لا امنهم ان يحرفوك ويغيروا
عنوك فى الخروج عن بلادك الى مصر واذا دخلت الى البلاد واستعجب
معى بما جابه الى الملك ثم انفصل عنه عائدا الى بلاده فلما كان فى اثنا
الطريق لحقته رسله ولا كوبا من بالعود فعاد وقد ابقته ثم
حنف خوفا والنوم لا يطرق له طرفا فلما اضجع به قال له انا اهدى
اضرونى ان تلك بالطايع صاحب مصر وقد رايت ان يكون عندك
من جهتى من يعتد من الشهر اليه ثم عين له امرا [illegible]
ده الى [illegible] وزاده [illegible] بهدم شراريف
القلعه وبناها [illegible] ضرب [illegible] ابواب الجماعه وكان [illegible]
سبعين نفسا منهم الملك المنصور ناصر الدين ارتق بن الملك السعيد
ونور الدين محمد واسد الدين [illegible] حسام الدين [illegible]
[illegible] الدين بن حاجرى وعلا الدين [illegible]
الدين بن جندر ولم يكن لاحد منهم ذنب وانما قصد بقتلهم
ان يخص صاح الملك الظافر واستقر الملك الظافر فى الملك
الى الوقت الذى وضعت فيه هذا الكتاب وهو سنه تسع و
سبعين وستمايه   تم

كان الفراغ منه بكره نهار الخميس خامس عشرين رجب
سنه سبع [illegible] وسبعمايه   على يد اضعف

راموز صفحة نهاية الكتاب من مخطوطة البودليين



رأموز الصفحة الاخيرة من مخطوطة البودليين وفيها تتمة خاتمة الكتاب

خارطة الجزيرة والشام واقليم العواصم والثغور (أيام الحمدانيين)

